إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا-، أما بعد:

فنسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يرزَقنا وإياكم العِلم النافع والعمل الصالح والدعوة إليه، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعُنا وزدنا وارزقنا علمًا ينفعنا.

علمُ القواعدِ علم جليل القَدْر، غزير الفائدة، بالغ الأهمية أيًّا كانت هذه القواعد، سواء كانت قواعد في الفقه، أو قواعد في الأصول، أو قواعد في اللغة العربية، كيف إذا كانت هذه القواعد تدور حول تفسير كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والذي نحن أحوج ما نكون إليه، فإنه لا بد أن يكون لطالب العلم أصول، لا بد أن يكون له أصول يرجع إليها، فإن الفروع كثيرة، وإذا وُفق الإنسان لقواعدَ وضوابط يجمع بها شتات هذه العلوم فإنه لا شك يفيده كثيرًا في سرعة تناولها وإدراكها وفهمها، وليس الشأن في القواعد أن تُحفظ، وإنما الشأن أن يتمرَّس طالب العلم علىٰ تطبيقها في العلم الذي تتصل به، وهذا وإن كان علمًا عزيزًا إلا أن الإنسان بالمحاولة وبالدربة، وقبل ذلك بإعانة الله له قد يُفتح له شيء من هذا الباب فيوفَّق لنيل العلوم وإدراكها بأيسر طريق وأسهله.

هذه القواعد: هي أحكام كلية، وأحكام عامة يُقصد منها التوصُّل إلىٰ استنباط معاني كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وترجيح بعض الأقوال علىٰ بعض في مسائل الخلاف في التفسير علىٰ أُسس سليمة، وإذا كانت الحاجة إلىٰ كتاب الله لا حدَّ لها فإن كل علم يدور حول كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- مهمٌّ، ولا بد لطالب العلم أن يطَّلع عليه.

في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- الموعظة للقلوب، والشفاء للصدور، والهداية إلىٰ الصراط المستقيم، فيه الفرح والنور، فيه السعادة والطمأنينة، فيه من الفضائل والفوائد ما لا يعدُّ ولا يُحصىٰ، فخليقٌ بطالب العلم أن يكون جُلُّ اهتمامه بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وللعلماء -رحمهم الله- ندمٌ في أواخر عمرهم أن لم يكن جلُّ اهتمامهم بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- كما ورد ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ، وغيره ممن جاء من العلماء بعده، وما ذاك إلا لما اتضح لهم وتبين من عظمة هذا القرآن، وكونه تبيانًا لكل شيء كما ذكر ربنا -عَزَّ وَجَلَّ-، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

هذه البشرىٰ لا شك يُفرح بها ويُسر بها، هي بشرىٰ من الله -عَزَّ وَجَلَّ- لعبادة المؤمنين في هذا القرآن العظيم، فجدير بنا إذًا أن نرقبَ هذه البشرىٰ وننتظرها من الربِّ الكريم، ونتلمَّسها في كتابه العزيز، ثم إن القرآن هو المصدر الأعظم للأحكام، لكن لا يمكن أن يصل الإنسان إلىٰ هذا الأمر بمجرد هَزِّهِ هَزًّا، ونثره نثرًا، وإنما يُفتح للإنسان ما يُفتح منه إذا هو قرأه بالطريقة الشرعية المطلوبة والله المستعان.

وقد بين ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- المنَّة بهذا القرآن في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه، فبيَّن أنه دعوة إبراهيم عليه السلام لهذه الأمة، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وبين أنه منَّته سبحانه وبحمده علىٰ عباده، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ذكر هذا المعنىٰ في أربع آيات من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لكننا وقفنا عند قول ربنا: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

فاقتصرنا علىٰ التلاوة فقط، وتركنا تعليم الكتاب والحكمة، ثم ما يفوت من هذا الترك من التزكية التي رتبها الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ مجمل الأمرين: التلاوة والتعلم.

وقد أجمل ربنا هذا المعنىٰ في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، فصدْرُ الآية بوصف هذا القرآن بالبركة، وجاءت هذه البركة مطلقة، وإذا كانت مطلقةً فلا أحد يستطيع أن يحدها بحدٍّ، ثم بيَّن الغاية التي من أجلها أنزل، والتي تتم بها هذه البركة، فقال: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ [ص: ٢٩]، ولم يقل: ليقرأوا، والتدبر: هو النظر في الألفاظ والتفكُّر في المعاني؛ للوصول من ذلك إلىٰ الحِكم والأحكام والأسرار لهذا الكتاب العظيم، ومما يعين علىٰ ذلك: النظرُ في القواعد.

والكتاب الذي بين أيدينا، وقد سبق استعراض ثلاثين قاعدة استعراضًا سريعًا لا يوفي بحقها حقيقة فضلًا عن حق العلم، وبقيت القواعد الأخر لعل الله أن يعين في إكمالها، وهذا الكتاب تميز بشيء أنك عندما ترجع إلىٰ تفسير الشيخ عبد الرحمن، "تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن" تجد أن هذه القواعد مبثوثة في تفسيره، وقد طبقها واستفاد وأفاد منها كثيرًا رحمه الله تعالىٰ، والذي يظهر أن هذه القواعد كانت بين ناظريه وفي ذهنه وهو يكتب التفسير في سن شبابه رحمه الله، مع أن تأليف الكتاب جاء متأخرًا بعد التفسير بسنوات.

وهذا مما يعين طالب العلم في تطبيق القواعد ومعرفتها، واشتمل الكتاب علىٰ جمل من القواعد والفوائد والضوابط، ومن الدُّرر المنثورة فيه، ومعلوم أن طريقة الشيخ رحمه الله التأمُّل والتدبر؛ ذكر طريقته في بعض كتبه في تفسيره أنه ينظر إلىٰ الآية وإلىٰ ما قبلها وإلىٰ ما بعدها، إلىٰ سِباقها وإلىٰ لحاقِها، وينظر إلىٰ مقاصد الشرع فأفاده ذلك فوائد جمة،

استنبطها من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ ولهذا يحسن لمن قرأ هذه القواعد ونظر فيها أن ينظر في تفسير الشيخ رحمه الله.

قد سئل الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، سأله طلابه عن تفسير يَنصح به فقال: تفسير الشيخ عبد الرحمن وهو شيخه، ولعله من أعلم الناس بكتبه أيضًا، قال رحمه الله: وفيه من الفوائد ما لعله لا يوجد في غيره، وهذه ميزة لهذا الكتاب، ولهذا هذا الكتاب انتشر في كل مكان، وتلقاه المسلمون في كل مكانٍ بالقبول وشاع وذاع وانتشر بينهم.

فخليقٌ بكم -يا طلاب العلم- أن تعتنوا بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والنظر فيه وفي تفسيره سواء تفسير الشيخ عبد الرحمن وهو تفسير سهلٌ سلِس مفيد، فهو سهل العبارة، غزير الفائدة، ما هو كغيره من التفاسير، وإن كان طالب العلم إذا نظر في التفاسير ينبغي أن يتدرج فيها، فيبدأ بالأسهل فالأسهل، المقصود أنك -يا طالب العلم- لا تقرأ آية وأنت لا تعقلها؛ لأن أثرها لا يكون كاملًا في قلبك إلا إذا عقلتها كما قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وفي آية أخرىٰ قال: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، قال عمرو بن مُرَّة رحمه الله: إنه إذا مرت بي الآية وأنا لا أعقلها حزنت؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فكيف تسمح لنفسك أن تمر بك الآية والآيات والسورة والسور وأنت لا تعقل معناها؟! فهذا مؤشر إلىٰ أن الإنسان لا يتدبر؛ إذ لو تدبر لبحث وسأل ونظر، والعلم متاح بين الأيدي وفي الجيوب ما شاء الله، يستطيع الإنسان أن ينظر للعلم في أي لحظة، لكن لا يغلبنا التقصير وإضاعة الأوقات فيما لا يعود علىٰ الإنسان بالفائدة فإن الوقت ثمينٌ، وكم

يحزن الإنسان عليه حزنًا شديدًا إذا انفرط منه، ولا قوة إلا بالله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

في القواعد السابقة ثلاثين قاعدة مرت بنا عدة قواعد، القاعدة الأولىٰ في تلقِّي التفسير، ثم خمس قواعد في صيغ العموم، ثم أربع قواعد في طريقة القرآن في الشهادتين، وفي المعاد، في خطاب المؤمنين، وفي أمر الكفار، ثم ذِكر الدَّلالات وأنواعها، المطابقة والتضمُّن واللزوم، ثم مبحث لطيف جميل مهم جدًّا يحتاج إليه في هذا الزمن وهو الجمع بين الآيات التي يظن الجاهل أو المُغرض أنها مختلفة متناقضة، ثم حذف المتعلق وحذف جواب الشرط، ثم قاعدة لطيفة قلَّ أن تجدها، وقل أن تجد الحديث عنها في غير هذا الكتاب إلا في كتب شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله تعالىٰ، فكلامهم عنها كثير، لكن الشيخ هنا أجمل فيها كلامًا لطيفًا مفيدًا وهو ختم الآيات بالأسماء الحسنىٰ، وعلاقة الاسم بموضوع الآية، والعلاقة بين الاسمين إذا ختمت الآية باسمين، ثم تحدث عن المحكم والمتشابه وأمثال القرآن، وتحدث عن جملة من القواعد إلىٰ القاعدة الثلاثين والتي تحدث فيها عن أركان الإيمان بأسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ثم انتهينا إلىٰ القاعدة الحادية والثلاثين وهي:

{بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: القاعدة الحادية والثلاثون: ربوبية الله في القرآن علىٰ نوعين: عامة وخاصة.}.

نعم، الربوبية، ربوبية الله -عَزَّ وَجَلَّ- علىٰ نوعين: عامة وخاصة، بالمناسبة إذا أكملنا خمس قواعد نحب أن نسأل عنها، ربوبية الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ نوعين: عامة وخاصة،

عامة لكل الخلق: البر والفاجر، المسلم والكافر، حتىٰ الجماد، من يأتي لي بمثال لها؟ سورة تحفظونها كلكم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فهو تعالىٰ رب العالمين، والعالم من سوىٰ الله -عَزَّ وَجَلَّ- حتىٰ من غير العقلاء، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤]، وربوبيته سبحانه وتعالىٰ العامة: لكونه الخالق، كونه المالك، كونه الرازق، كونه المدبر للخلق أجمعين، فهذه ربوبية لا يخرج عنها أحد أبدًا.

أما الربوبية الخاصة فهي ربوبيته لأوليائه وأصفيائه من الأنبياء وأتباع الأنبياء، وربوبيتهم: بتوفيقهم، بهدايتهم، بتيسير كل الخير لهم، بتوفيقهم إلىٰ كل خير، وحفظهم من كل شرٍّ، وهذه ترد كثيرًا في أدعية الأنبياء، وجمع الله تعالىٰ الربوبية العامة والخاصة في آية، في قوله -عَزَّ وَجَلَّ- عن السَّحرة: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧، ٤٨].

يشار هنا إلىٰ فائدتين، أشار الشيخ إلىٰ إحداهما وهي أن الأولىٰ: أن عامة أدعية الأنبياء في القرآن بسم الرب -عَزَّ وَجَلَّ-، تأمل القرآن، والذي يظهر أن جميع أدعية القرآن من الأنبياء باسم الربِّ، فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨]، وهذا إبراهيم يقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وهذا موسىٰ عليه السلام يقول: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥/ ٢٦]، وهذا يوسف عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١]، إلىٰ آخره، تتأمل القرآن تجد جميع أدعية الأنبياء باسم الرب، وفي هذا توسُّل إلىٰ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالربوبية ومعانيها أي: لأنك ربي ولأنك الموفق

والمعين والهادي إلىٰ الصراط المستقيم، ثم بعد ذلك يدعو، فهو يتوسل إلىٰ الله بهذا الاسم وبمعاني هذا الاسم.

المسألة الثانية: أن جميع الأدعية الواردة باسم الرب لم يرد فيها حرف النداء "يا"، يقول سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]، وما ذُكر أيضًا، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٦]، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨]، يقول زكريا إلىٰ آخره، لم يرد ذكر الياء مع ذكر الرب إلا في آيتين، هل أحد يذكرها؟ ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨]، لكن هل هذا دعاء؟ هل هذه الآية دعاء؟ لا، ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨]، هي شكوىٰ من النبي –صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لربه، يشكو قومه، وأيضًا قوله –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وهذه أيضًا ليست دعاء، لم يرد حرف النداء مع اسم الرب.

السؤال هنا: لَمَ لَمْ يرد حرف النداء "الياء" في الأدعية؟

...

إشارة إلىٰ قرب الرب سبحانه وتعالىٰ من عبده عند الدعاء، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وذلك أن حرف النداء عند العرب يستخدم "للنداء البعيد"، فجاءت الأدعية كلها خالية من هذا الحرف.

المسألة الثانية في هذه القاعدة: العبودية لله –عَزَّ وَجَلَّ– أيضًا ذكر المؤلف أنها نوعان مثل الربوبية: عامة وخاصة أيضًا، فمن الربوبية العبودية العامة قوله –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، كل من في السماوات والأرض عبيده: مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، عبيد متذلِّلون خاضعون له سبحانه وبحمده،

ومنه في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديتُه»، والعبودية الثانية عبودية خاصة بالأنبياء وأتباع الأنبياء؛ كقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ومعنىٰ عبوديتهم لله -عَزَّ وَجَلَّ- هنا: تذلُّلهم، إيمانهم، إخلاصهم لربهم سبحانه وبحمده.

ولهذا كان من أشرف أوصاف النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه عبد الله ورسوله، وتأملوا الآيات في القرآن، تأملوا في مواطن عديدة، وصف الله تعالىٰ نبيه بالعبودية: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، قال عليه السلام: «لا تُطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»، لكن لماذا كان هذا الوصف أشرف أوصاف المصطفىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كونه عبدًا لله ورسولًا؟ لماذا؟ ذكروني بقاعدة مرت بنا، الإضافة تقتضي ماذا؟

{التشريف}

الإضافة تقتضي غير التشريف: العموم، عبد الله عبد أضيف إلىٰ الله -عَزَّ وَجَلَّ- فاقتضت الإضافة العموم، يعني: أن جميع معاني العبودية قائمة في المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا كان الوصف وصفًا عظيمًا شريفًا له صلوات الله وسلامه عليه، الفرق بين الربوبية والعبودية يقول: الربوبية: هي وصف الرب وفعله. والعبودية: هي وصف العبد وفعله.

أحسن الله إليكم

{القاعدة الثانية والثلاثون: إذا أمر الله بشيء كان ناهيًا عن ضده، وإذا نهىٰ عن شيء كان آمرًا بضده، وإذا أثنىٰ علىٰ نفسه أو علىٰ أوليائه وأصفيائه بنفي شيء من النقائص كان ذلك إثباتًا للكمال}.

الأمر بالشيء نهي عن ضده، هذه قاعدة أصولية أيضًا، كما النهي عن الشيء أمرٌ بضده،

فالأمر بالتوحيد نهي عن ماذا؟ عن الشرك.

الأمر بالطاعة نهي عن ماذا؟ عن المعصية.

الأمر بالإيمان نهي عن ماذا؟ عن التكذيب وعن الكفر، الأمر بالصبر نهي عن ماذا؟ عن الجزع والتسخُّط، وهلم جرًّا، كما أن النهي عن ضد ذلك أمرٌ؛ فالنهي عن الشرك أمر بالتوحيد، النهي عن مساوئ الأخلاق أمر بمحاسن الأخلاق، وهذا يفيد في التفسير؛ ولهذا تجد الشيخ في التفسير يسيل قلمُه في كثير من الاستنباطات؛ لأنه قام بتفعيل هذه القواعد في التفسير، فإذا جاء إلىٰ أمر بتوحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ- جرَّه ذلك إلىٰ أن يتحدث عن الشرك والنهي عن الشرك وسائر الشرك وما أشبه ذلك، ودليله الأمر بالتوحيد.

أيضًا يقول: إذا نفىٰ الربُّ عن نفسه شيئًا من النقائص أو عن كتابه أو عن رسوله فالمرادُ بذلك النفي ثبوتُ كمال ضده؛ إذ لا يكون النفي كمالًا إلا إذا تضمن ثبوت كمال الضد، فمما نفىٰ الله عن نفسه قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، السِّنة والنعاس مقدمات النوم، يتضمن هذا كمال الحياة والقيومية له سبحانه وبحمده، ولهذا ذكر ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- هذا النفي بعد قوله: الحي القيوم، فمن كمال حياته وقيوميته كونه لا تأخذه سنة ولا نوم، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، لا شريك له يتضمن ثبوت

الضد وهو الوحدانية، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ثبوت الضد وهو العدل، وهلم جرًّا.

كذلك مما نفىٰ عن كتابه نفَىٰ عنه الريب في قوله تعالىٰ: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١/ ٢]، أي: لا شك فيه، فليس المراد مجرد نفي الشك فقط، وإنما نفي الشك مع ثبوت كمال اليقين والصدق، أن هذا الكتاب صدق ويقين من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فإن جاء مشكِّك، والمشكِّكون اليوم يشكِّكون في كل شيء، ولهذا نقول: نحن بحاجة إلىٰ أن نرجع إلىٰ كتاب الله؛ لأن كتاب الله هو السدُّ المنيع الذي يحول دون شكوكهم ودون افتراءاتهم وكذبهم علىٰ شرع الله تعالىٰ ودينه، فيه من الوقاية والحماية والدفاع الشيء العظيم، فنقول: ذلك الكتاب لا ريب فيه: لا شك فيه، يأتي الواحد ويقول: هات دليلًا علىٰ أن هذا الكتاب لا ريب فيه، نقول: نعم، الدليل موجود ولله الحمد والمنة، وهو أنه لما حِيل بينه وبين هذه النصوص قالوا... حتىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، قالوا: هذه آية محرَّفة، نعوذ بالله من زيغ القلوب.

قل له: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]، الله أكبر، ما أعظم هذه الكلمة! ولن تفعلوا، منذ نزلت هذه الكلمة علىٰ محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يفعلوا ولن يفعلوا، لن يفعلوا، ولن يحاول أحد أن يفعل بعد أن حاول مسيلمة وأصبح أضحوكة للعالم كله، كل يخشىٰ أن يكون مسيلمة آخر، لا يحاولون أبدًا، أولًا: لأنهم عاجزون، ولأن من يحاول سيكون أضحوكة في محاولاته أن يحاكي أعظم كتاب وأشرف كتاب وأكرم كتاب، لهذا إن شكك فيه وقال: فيه ريْب، نقول: هات سورة نعطيك فرصة، هات سورة مثل القرآن وخلاص، ولن تفعلوا، وكانت هذه الكلمة ولن تفعلوا سببًا في

إسلام أحد القسيسين، وكان يقرأ القرآن ليرد علىٰ المسلمين، ويهاجم الإسلام من خلال كتابهم، فلما مرَّ أول ما قرأ القرآن ومرَّ علىٰ هذه الآية قال: هذا كلام لا يقوله بشر، لا يمكن لبشر أن يقول للناس: لن تستطيعوا أن تفعلوا، فنفي الريب هنا عن القرآن إشارة إلىٰ تمام وكمال صدقه.

كما قال ربنا -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١،٤٢]، أيضًا ما نفي عن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من النقائص المراد ثبوت كمال ضدها، فنفىٰ عنه ما وصفه به المشركون من كونه ساحرًا كاهنًا شاعرًا كذابًا، وصفوه بأوصاف اختلافهم فيها يدل علىٰ تناقضهم، وفساد أقوالهم وآرائهم، والمقصود بنفيها: ثبوت كمال صدقه صلوات ربي وسلامه عليه، إذًا متىٰ يدل النفي علىٰ الكمال، متىٰ؟ إذا تضمن إثبات كمال الضِّد.

أحسن الله إليكم

{القاعدة الثالثة والثلاثون: المرض في القرآن مرض القلوب نوعان: مرض شبهات وشكوك، ومرض الشهوات المحرمات}.

الأمراض -حفظنا الله وإياكم من الأمراض- أمراض القلوب، وهي أشد الأمراض فتكًا، فإنها تفتِك بصاحبها في الدنيا والآخرة ،عياذًا بالله، أما أمراض الأبدان تنتهي بالصحة والعافية، وإن مات الإنسان فالموت غاية كل حي والله المستعان، أمراض القلوب ذكر -رحمه الله- أنهما نوعان:

النوع الأول: مرض الشبهات، والثاني: مرض الشهوات، ويندرج تحته من الأمراض والأحقاد والبغضاء وما أشبه ذلك من دواخل النفوس الشيء الكثير.

مرض الشبهة سببه: نقص العلم، ومرض الشهوة سببه: نقص الإرادة، أي إرادة؟ إرادة ما يحب الله ورسوله.

مرض الشبهة سببه ما هو؟

{نقص العلم}.

نقص العلم، ولهذا مرض النصارىٰ ما هو؟ أي المرضين عندكم الآن؟

{مرض الشبهة}.

مرض الشبهة، سببه الشبهة، ومرض اليهود؟

{الشهوة}.

مرض الشهوة، عندهم علمٌ اليهودُ، لكنه علم منحرف، فوجهُ تقسيم المرض إلىٰ قسمين أنه صحة القلب وسلامة القلب؛ لأنه يقابل القلب المريض القلب السليم، اللهم إنا نسألك قلبًا سليمًا، ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]، ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الصافات: ٨٤] إذًا ما هو القلب السليم؟

السالم من الشهوات ومن الشُّبهات؛ فسلامة هذا القلب ترجع إلىٰ هذين الأمرين: إلىٰ العلم الصحيح واليقين والمعرفة بالله -عَزَّ وَجَلَّ- والثقة به، وإلىٰ إرادة ما يحبه سبحانه وبحمده، وما يحبه رسوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، هذا القول السليم، وتأمل القرآن تجد فيه ذكر أمراض القلوب، قال تعالىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]؛ لأنهم منافقون، وهذا مرض شبهة، وقال: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١١٢٥]، مرض، مرض شبهة أيضًا.

وقال: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣]، ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾ [المدثر: ٣١]، وما أشبه ذلك، كل هذه ترجع إلىٰ مرض الشبهات، ومرض الشهوة كما في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، والخطاب لأشرف النِّساء، ولبقية نساء الأمة أسوة بهن، لا تخضع بالقول، لا تتكلم بكلام فيه خضوع وفيه تكسُّر؛ لأن القول لا شك مؤثر في القلوب، وأي القلوب؟ المريضة، وأي مرض؟ مرض الشهوة عياذًا بالله، جمع الله سبحانه وتعالىٰ هذين المرضين في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]، أين الشبهات؟ ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]، أين الشهوات؟ ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٩]، فجمعت الآية بين نوعي المرض، واليوم الشهوات والشبهات تُرىٰ وتُسمع، كلٌّ يراها حتىٰ الأطفال، وهذه من إحَنِ الزمان ومصائبه عن طريق الجهاز الذي في جيبه ينظر إلىٰ الدنيا وما فيها، وأعداء الإسلام يجلِبون بخيلهم ورَجِلهم في محاولة غزو القلوب عن طريق إثارة الشبهات، والشبهة عياذًا بالله إذا وافقت قلبًا خاليًا فتكت به فتكًا ذريعًا.

ما لم يكن عند الإنسان علم يدفع فيه هذه الشبهات خير له ألا ينظر إليها ولا يسمعها حتىٰ ولو كان عنده علم، جاء رجل من أهل البداء إلىٰ أحد السلف، عبد الله بن المبارك أو غيره، فقال: أبعدوه، فقيل: لماذا؟ قال: أخشىٰ أن يقذف بشبهة تجلجل في قلبي إلىٰ أن أموت، يظنون أن الشبهات سهلة، هي مرض من جنس ما يصاب به الناس من الأمراض النفسية، يظل يفكر فيها ويظل معها في أكله وشربه ونومه ويتمنىٰ أن يخرج منها ولكنه لا يستطيع، ولهذا قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من سمع بالدجال فيلنأ بنفسه عنه، فإن الرجل يذهب إليه وهو يرىٰ أنه مؤمن فيتبعه مما يقذف به من الشبهات»، الدجال صورته

وشكله معروف بكل شيء، لكن يجري الله علىٰ يديه من الخوارق ما يكون فتنة، واليوم تُسمع أشياء وتُرىٰ أشياء، مزلة أقدام، وسبب لزيغ القلوب إذا سمعها الإنسان، وتطرح حوارات رأي ورأي آخر وكذا وكذا، لماذا لا تسمع؟ أليس عندك ثقة بنفسك؟ لا ما عندي ثقة بنفسي، ثقتي بربي أولًا وقبل كل شيء.

أما ثقتي في نفسي في الثبات علىٰ ديني لا، ولهذا كان من أكثر دعاء المصطفىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ماذا؟ «يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك»، دليل علىٰ أن القلوب تتقلب، وما الذي يقلبها؟ هذه الشبهات، وهذه المغريات، وهذه المصائب، هذه التي تؤثر فيه، وتكون سببًا في زيغها، ولو أن الأمر كله بيد الله فهو مقلِّب القلوب سبحانه وبحمده، لكن هذه الأسباب، فاحرصوا واحرصوا علىٰ أنفسكم وأولادكم ونسائكم من النظر في هذه الأمور، فالخطر منها كبير، وقد حذر النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنذر، وحذَّر أمته، وبين أنه في آخر الزمان تأتي فتن عظام، فقال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»، الدين كله يذهب لأجل الدنيا عياذًا بالله.

ابن القيم رحمه الله لما ذكر الشبهات وضررها وشرها وخطرها قال:

فانظر ترىٰ لكن نرىٰ لك تركها ... حذرًا عليك مصائد الشيطان

فشباكها والله لم يعلق بها ... من ذي جناح قاصر الطيران

إلا رأيت الطيرَ في قفص الرَّدىٰ ... يبكي له نوحٌ علىٰ الأغصان

يقول: يصبح هذا المسكين الذي نظر في شبهة فقرت في نفسه وأخذت تجلجل في قلبه؛ كالطير الحبيس في قفص يرىٰ الطيور تطير ويتمنىٰ ولا يستطيع، ثم يتحدث عن نفسه

وعن تجربته في هذا الطريق، في بداية عمره، فيقول: والله العظيم وقعت في هذه الشباك وكنت ذا طيرانٍ يطير، عندي علم.

حتىٰ أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

حبرًا أتىٰ من أرض حران ... فيا أهلًا بما قد جاء من حراني

أخذت يداه يدي فلم يرم ... حتىٰ أراني مطلع الإيمان

من يعني يا إخوان؟

{شيخ الإسلام ابن تيمية.}

شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونوّر الله ضريحهم جميعًا، المقصود أننا في زمنٍ الخطرُ داهمٌ، والمحفوظُ من حفِظه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولهذا لزامًا علىٰ الآباء والأمهات أن يُعنَوا بتحصين أولادهم، الحمد لله الآن وُجدت وسائل التحصين من كورونا، يقولون: هذا فلان محصَّن، ومع ذلك تأتيه أحيانًا، نريد تحصين القلوب بعدُ، أهم من تحصين الأجسام، حصِّنوا أولادكم بالأذكار، بتربيتهم علىٰ القرآن، بحفظهم ما داموا تحت اليد، وتحت السيطرة، أطفالًا صغارًا، وإلا سيأتي الوقت الذي سينطلقون فيه إلىٰ الدنيا ويرون كل شيء، حتىٰ إذا جاء الوقت يكون عندهم شيء من المحصنات، وأعظمها كتاب الله، والذي قال فيه ربنا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]، حفظوهم ما تيسر من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- لعله أن يشفي صدورهم، ويحفظ قلوبهم من هذه المحن.

{القاعدة الرابعة والثلاثون: دل القرآن في عدة آيات أن من ترك ما ينفعه مع الإمكان ابتلي بالاشتغال بما يضره وحرم الأمر الأول}.

من ترك ما يمنعه مع الإمكان ابتلي بما يضر وحرم الأول، أي: ترك الشيء المفيد ابتلي بالضر، فمن ترك التوحيد ابتُلي بالشرك، من ترك الطاعات ابتُلي بالمعاصي، من ترك اتباع

الرسل ابتُلي باتباع الشياطين، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ* وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢]، لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وكفروا بمحمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اتبعوا السحر والشياطين، ومن ترك إنفاق المال في أوجه البرِّ والإحسان، وفي الحلال أيضًا ابتُلي في إنفاقه في الحرام، وربما عوقب به عقوبة شديدة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦]، فالعقوبة: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة: ٧٧].

ومن ترك أحسن الحديث ابتُلي بلهو الحديث، أحسن الحديث ما هو؟

{القرآن}

ما الدليل؟

{﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]}.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، أحسن الحديث، يجلس الشخص علىٰ جواله أربع أو خمس أو ست أو سبع ساعات تقول: لماذا؟ يقول: والله -يا أخي- أوسِّع صدري، والنتيجة أنها سعة صدر انتهت في وقتها وانتهىٰ أثرها وبقي ضررها، ما نصيبك من كتاب الله؟ الله المستعان، ما يخشىٰ مثل هذا أن يكون هذا عقوبة، وتأملوا قول ربكم -عَزَّ وَجَلَّ-: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًىٰ وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: ١-٥]، تأملوا، الم تلك آيات الكتاب الحكيم، ثم ذكر أوصافا ثم قال: أولئك علىٰ هدىٰ، وأتىٰ بحرف علىٰ هنا الدالُّ

علىٰ ماذا؟ الدالُّ علىٰ العلو، أن الله يعليه بهذا الهدىٰ، يرفع درجته ومكانته، ثم قال بعدها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] يقول العلماء: فيه إشارة إلىٰ أن الإنسان إذا ترك أحسن الحديث عوقب بلهو الحديث.

ولهو الحديث يبدأ من القيل والقال وفضول الكلام المباح إلىٰ الشرك بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، وما بينها من الأباطيل والكلام الذي لا طائل تحته ولا فائدة من ورائه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤]، هذه الآية نزلت لما منعت قريش رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الحديبية فما كانت العقوبة؟ ما العقوبة؟ ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤]، والمقصود في هذه القاعدة كلها: أن من ترك الخير ابتُلي بالشر، فاحرصوا علىٰ الخيرات وعلىٰ الاجتهاد في الطاعات واكتساب الحسنات، فإما هذه وإما هذه، والله المستعان.

أحسن الله إليكم

{القاعدة الخامسة والثلاثون: في القرآن عدة آيات فيها الحث علىٰ أعلىٰ المصلحتين، وتقديم أهون المفسدتين، ومنع ما كانت مفسدته أرجح من مصلحته}.

الإنسان في حياته تُعرض له أمور تتزاحم عنده المصالح، أحيانًا تتزاحم عنده مفاسد ولا بد من أحدها، لا بد من أحد هذه المفاسد، أحيانًا يكون بين مصلحة ومفسدة فماذا يعمل؟ وهذه قاعدة شرعية بلا شك عظيمة، وقاعدة عقلية أيضًا، فإذا تزاحمت عندك مصالح فماذا تعمل؟ ماذا تقدم من هذه المصالح؟ أعلىٰ هذه المصالح، دخل إنسان وقد أقيمت الصلاة يصلي الراتبة؟ لا يمكن، «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»، يدخل في الفريضة؛ لأن الفريضة هي الأعلىٰ، أورد المؤلف عدة أمثلة في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- علىٰ هذه القاعدة؛ كقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]، عندما تكلموا فقال علي رضي الله عنه: هاجرنا مع النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجاهدنا معه، وقال العباس: لم تتركوا لنا شيئًا نحن أهل البيت وكذا وكذا، فنزلت الآية، فالمفاضلة بين هذه الأعمال، لا شك سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام أعمال عظيمة كبيرة، لكن ما ذكر بعدها من الإيمان والجهاد أعظم منها لا شك.

وقال: ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، هذه من قاعدة المحترزات التي مرت بنا حتىٰ لا يُظن أن من قاتل بعد الحديبية والفتح. صُلح الحديبية كثيرًا ما يرد في القرآن إطلاق الفتح علىٰ صلح الحديبية؛ لأنه كان فتحًا للقلوب، يعتمروا في تلك السنة، لكن ما رجع النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتىٰ دخل الناس في دين الله أفواجًا، وأقبل الناس علىٰ الإسلام، وفُتحت القلوب، فلا شك أن من جاهد قبل الحديبية هذا وقت قلة من المسلمين لا شك أن أجره أعظم، والمصلحة فيه أعظم، وهكذا.

إذا تزاحمت المفاسد فماذا يعمل؟ يرتكب أدناها، قال تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ثم قال: ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، إذًا هناك كبير وهناك أكبر، القتال في الأشهر الحُرم كبير، وهذا لما قتلت سرية من سرايا المسلمين رجلًا من المشركين في آخر يوم من جمادىٰ يظنونه منه فبان أنه من رجب، فضجَّ المشركون وعجُّوا وقالوا: محمد يقتل ويقاتل في الأشهر الحرم، ونسوا جرائمهم وأعمالهم المشينة والكبيرة، فقال الله: ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، هذه الأعمال الخطيرة، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ولما ركب الخضر السفينة ماذا عمل بها؟

{خرقها.}

طيب، أليس خرقها مفسدة؟ بلىٰ، لكن أخذها أشد مفسدة؛ فسفينة مخروقة خير من سفينة مسروقة، خرقها؛ لأن هذه المفسدة الصغيرة أصبحت مصلحةً في النهاية، ومنه قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥] أي: لسلطناكم عليهم، لولا رجال مؤمنون لسلط الله محمدًا وصحبه في الحديبية علىٰ المشركين وقاتلوهم، لكن كان بين المشركين أناس مسلمون مختبئون لا يُعلم عنهم فربما قتلوهم مع المسلمين، وهذا يدل علىٰ حرمة دم المسلم حتىٰ وإن كان لا يعلم عنه، فالدم عظيم، وشأنه كبير وخطير، ولما قتل أسامة رضي الله عنه رجلًا كان مع المشركين يقاتل وآذىٰ المسلمين، فلما علاه بالسيف قال: أشهد أن لا إله إلا الله فقتله، فلما أخبر النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «قتلته وقد قال: لا إله إلا الله؟»، قال: إنما قالها خوفًا من السيف، قال: «هلا شققت عن صدره؟»، قال: فما زال يرددها ويقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟»، واليوم يقتل المسلمون ولا قوة إلا بالله في سبيل قاتل واحد كافر يقتل عشرات المسلمين بل مئات، وهذا كله من الاستخفاف بالدم الذي أخبر عنه النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولهذا كف الله المسلمين هنا عن قتال المسلمين لأجل من كان بينهم من المسلمين لا يعلم بحاله.

بقية الثالثة وهي: منع ما كانت مفسدته أعلىٰ من مصلحته، أحيانًا تكون المصلحة أعلىٰ، وأحيانًا تكون المفسدة أعلىٰ، وأحيانًا تكون المصلحة والمفسدة متساويتين، في قسمة خمسية للمصالح معروفة، يقسمون المصالح والمفاسد إلىٰ قسمة خمسية:

١- أن تكون المصلحة محققة.

٢- أن تكون المصلحة راجحة.

٣- أن تكون المفسدة محققة.

٤- أن تكون المفسدة راجحة.

٥- تساوي المصلحة والمفسدة.

فإن كانت المصلحة محققة أو راجحة لا شك أن الشرع يأمر بها، وإن كانت المفسدة محققة أو راجحة، وإذا تساوت المصلحة والمفسدة فمحل نظر، بعض أهل العلم يغلب درء المفسدة؛ لقاعدة "درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح"، مثَّل المؤلف هنا بقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فيهما إثم كبير، ومنافع مادية، ﴿وإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾، فإن كان الإثم أكبر من النفع فإنها تُتقىٰ، ولكن ليست الآيات حاسمة في التحريم حتىٰ جاءت الآية الأخيرة في سورة المائدة، ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] إلىٰ أن قال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؟ فقالوا: انتهينا انتهينا، نعم.

أحسن الله إليكم

{طريقة القرآن: إباحة الاقتصاص من المعتدي ومقابلته بمثل عدوانه، والنَّهي عن ظُلمه، والنَّدب إلىٰ العفو والإحسان}.

في طريقة القرآن في التعاطي مع الجناة، الإنسان الذي يعتدي كيف نتعامل معه؟ يتعامل معه بأمور:

أولًا: القصاص، وهذا هو العدل، والعدل واجب كما يقول العلماء، لا بد من تمكين الشخص من أخذ حقه.

ثانيًا: وله أن يعفو ويصفح، والعفو فضلٌ وإحسانٌ.

ثالثًا: وقد يظلم ويأخذ أكثر من حقه أو ينتقم من غير الجاني كما عليه طريقة الجاهلية ومن سلك طريقهم.

فهذه ثلاث حالات:

الحالة الأولىٰ: القصاص وهي العدل.

والحالة الثانية: العفو.

والعدل واجب، والفضل مسنون، هذه قاعدة فقهية، "العدل واجب والفضل مسنون والظلم محرم"، جمع الله سبحانه وتعالىٰ هذه الأحوال الثلاثة في آية، في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، هذا العدل، القصاص، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللَّهِ﴾، وهذا العفو، ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وهذا الظلم، وهذه الأقسام الثلاثة في التعاطي مع الجناة مبثوثة في كتاب الله في آيات كثيرة، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وما أشبه ذلك.

لكن ينبغي أن يُعلم أن العفو لا يكون فضلًا إلا إذا كان فيه إحسان، أما إذا لم يكن فيه إحسان فإنه لا يُمدح، ولهذا قال ربنا: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ [الشورى: ٤٠]، لما ذكر الله تعالىٰ صفات عباده المتقين نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي

السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣/ ١٣٤]، ذكر ثلاث صفات:

الأولىٰ: كظم الغيظ، يكظم لكن لا يعفو. الثاني: يكظم ويعفو.

الثالث: تقييدٌ لهذا العفو بأن يكون إحسانًا؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فإذا كان في العفو إحسانًا فإنه يُمدح ويندب إليه، أما إذا كان فيه إساءة، هذا مجرم إذا عُفيَ عنه وخلي سراحه وعاد يقترف جرائمه ويؤذي الناس، هل هذا العفو محمود؟ لا، هذا ليس محمودًا، فمتىٰ يكون العفو محمودًا إذًا؟ إذا كان فيه إحسان.

أحسن الله إليكم

{القاعدة السابعة والثلاثون: اعتبر الله القصد والإرادة في ترتب الأحكام علىٰ أعمال العبد}.

هذه قاعدة كبيرة جليلة وهي من قواعد الفقه الكبرىٰ، وهي قاعدة "الأمور بمقاصدها"، قاعدة فقهية، وهي أن الله تعالىٰ يرتِّب الأحكام علىٰ المقاصد والنيات، ودليلها الذي يتبادر إلىٰ أذهانكم من السنة حديث عمر رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ»، هاتان العبارتان: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ هل هما عبارة واحدة أم بينهما فارق؟ بعض العلماء يقول: الثانية مؤكدة للأولىٰ، وقال بعضهم: لا، ولديهم قاعدة تقول: "التأسيس أولىٰ من التأكيد"، التأكيد: تأكيد الجملة السابقة، اختلاف اللفظ لكن المعنىٰ واحد، لكن التأسيس، لا، كل جملة تؤسس معنىٰ، فيكون قوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنما الأعمال بالنيات» أي: لا عمل إلا بنية، لا يوجد إنسان سوي يعمل عملًا إلا بنية، إذا قلت لإنسان: قم توضأ بدون نية. يستطيع؟ هل يستطيع؟ أسألكم، هل يمكن لواحد يقول: قم يا إنسان توضأ لكن لا تنوِ الوضوء؟

لا يمكن للسويِّ أن يعمل عملًا إلا بنية؛ ولهذا كان أمر النية سهلًا وإذا شدَّد للإنسان فيه ولا حول ولا قوة إلا بالله، ربنا يُشدد عليه، قال شيخ الإسلام: النية تابعة للعلم؛ فمن علم شيئًا فقد نواه وقصده، وقال بعض أهل العلم: لو كُلف أحد أن يعمل عملًا بغير نية كان من التكليف بما لا يطاق، فقوله: «إنما الأعمال بالنيات» أي: لا عمل إلا بنية، وقوله: «وإنما لكل امرئ ما نوىٰ» أي: له من الأجر علىٰ قدر نيته، والنصوص في القرآن الدالَّةُ علىٰ اعتبار النية وترتُّب الأحكام عليها كثيرة، مثل قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٤]، أين الدليل؟ ابتغاء مرضات الله، قصد ابتغاء وجه الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهذا العمل، فهذا الفضل العظيم مترتب علىٰ هذه النية.

أيضًا قوله -عَزَّ وَجَلَّ- في وصف محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصفوة من هذه الأمة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩]، أيضًا قوله -عَزَّ وَجَلَّ- في مراجعة الزوجة بعد الطلاق: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، أرادوا نية، إذا نوىٰ الإصلاح، أما إذا نوىٰ المضارَّة فلا حق له علىٰ ما يختاره الشيخ عبد الرحمن رحمه الله، أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، وفي آية أخرىٰ قال: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]، يعني بما قصدتم عقده، وأما لغو اليمين: لا والله، بلىٰ والله، هذه لا تنعقد بها اليمين، وبالتالي لا يترتب عليها حكم ولا كفارة فيها، فرَّق الله سبحانه وتعالىٰ في وجوب الكفارات والمؤاخذة بالإثم بين العامد والناسي والمخطئ، فقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: قد فعلت، وقال في قتل الصيد: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ [المائدة: ٩٥] دلَّ علىٰ أن غير المتعمد لا شيء عليه في قول بعض أهل العلم.

وقال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] عياذًا بالله، كل هذه العقوبات الشديدة ناشئة عن النية والقصد، النية والقصد: هو التعمد، وما أشبه ذلك، المقصود: أن النية عظيمة، عليها مدار الأعمال، فليحرص المسلم علىٰ إخلاص نيته لله سبحانه وتعالىٰ في كل عمل يعمله، فإن النية الصادقة تجعل من العادات ماذا؟ عبادات، وإذا سُلبت النية من العبادة أصبحت كالعادة، «وإنك لن تعمل عملًا تبتغي به وجه الله إلا أُجرت عليه حتىٰ ما تجعل في فيِّ امرأتك» يقوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لسعد بن أبي وقاص.

ولكن أمر النية عظيم، وإذا كان عظيمًا فشأنها عظيم، تحتاج إلىٰ مجاهدة للنفس؛ ولذا قال بعض السلف: ما جاهدت نفسي علىٰ شيء أشد من مجاهدتها علىٰ الإخلاص، وقال بعضهم: وددت أني أعمل عملًا لا تعلم به الكَتبة؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، كانوا يحرصون علىٰ إخلاص أعمالهم لله -عَزَّ وَجَلَّ-، فاحرصوا علىٰ الإخلاص، ذكر رجل للإمام أحمد ما كان عليه السلف من الصدق والإخلاص قال: بهذا ارتفع القوم؛ لهذا رفعهم الله سبحانه وتعالىٰ بما فتح عليهم ووفقهم إليه من الصدق مع ربهم سبحانه وبحمده وإخلاص الأعمال له.

أحسن الله إليكم

{القاعدة الثامنة والثلاثون: قد دلَّت آيات كثيرة علىٰ جبر خاطر المُنكسر قلبه، ومن تشوَّفت نفسه لأمر من الأمور إيجابًا أو استحبابًا}.

دلَّت نصوص كثيرة علىٰ جبرِ خاطِرِ المنكسرِ قلبُه، ومن تشوَّفت نفسه لشيء؛ فحرص الشارع الحكيم علىٰ جَبر خاطر المنكسر قلبُه، فهذه المرأة المتوفَّىٰ عنها زوجها تبقىٰ في بيت الزوج أربعةَ أشهر وعشرًا لا تخرج منه، بل علىٰ قول شيخ الإسلام: تبقىٰ سنةً كاملة،

عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَىٰ الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، وإن كان الجمهور يرون أنها منسوخة بالآية قبلها، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، لكن شيخ الإسلام يقول: هي مُحكمة وليست منسوخةً، فلها أن تبقىٰ في بيت زوجها سنة كاملة لا يحق للورثة أن يخرجوها جبرًا لخاطرها إلا إذا ضربت هي في الخروج، والمطلقة أيضًا إذا طلقت والطلاق لا شك كسر للمرأة، كما قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، وكسرها طلاقها»، فإذا اقتضىٰ الأمر الفرقة فيتأكَّد عليه أن يجبر خاطرها ويعطيها شيئًا، وهو ما يعرف بمتعة الطلاق، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١].

لكن هل هذه المتعة حق لكل مطلقة؟

بهذا يرىٰ جمع من أهل العلم كشيخ الإسلام رحمه الله، المشهور في مذهب الإمام أحمد أنها حق للمرأة إذا طُلقت قبل الدخول، وقبل أن يُفرض لها مهر، قبل أن يفرض لها مهر تُعطىٰ متعةً؛ لقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، منه أيضًا أن المطلقةَ الرجعية كالزوجةِ سواء، أحكام الشرع حكيمة عظيمة، حتىٰ سماه ربنا بعلًا في قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، بعولتهن، زوج، سماه زوج، فهي كالزوجة سواء إلا أنه لا قسم لها فقط، يجب عليه أن ينفق عليها، ويتأكد أن تبقىٰ في بيته حتىٰ والله المستعان وإن أبىٰ هو، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ

ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]، إذا بقيت في بيت الزوجة مدة العدة ثلاثة قروء ربما يحصُل لمُّ الشمل ثانية ويراجعها، المقصود: أنه ينبغي أن تبقىٰ حتىٰ قال بعض أهل العلم بالوجوب، رأينا من تبقىٰ في بيت زوجها إذا طلقها، والله المستعان.

الطلاق سمَّاه ربنا سراحًا جميلًا، ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، لا شقاق، ولا نزاع، ولا محاكم، ولا بغضاء، أحكام عظيمة لكن أين الناس منها والله المستعان؟ أيضًا من جبر خاطر من يحتاج إلىٰ جبر خاطره ومن هم أحوج الناس إلىٰ جبر الخواطر الوالدان، قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، عند من؟ عند الولد، ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، إما يبلغنَّ عندك، الله المستعان، تركنا هذا الوقت، زمنٌ ليس بالبعيد، لا يمكن للرجل أن يُخرج والداه أو أحدهما من عنده، بل هو لا يَخرج منهما، يبقىٰ في كنفِ والديه إلىٰ أن يوارياهما في الثرىٰ ويدعو لهما بالمغفرة والرحمة، هذه المسألة قصرنا فيها اليوم كثيرًا، وأصبح الأولاد يخرجون واحدًا تلو الآخر حتىٰ يبقىٰ الوالدان في البيت وحدهما، وربما يبقىٰ أحدهما ويموت الآخر، وما نخشاه أن يتطور الأمر حتىٰ نلحق بغيرنا شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، ويوضع الكبار في دور الرعاية والله المستعان، هذا ما يخيف، كان عندما يكبر الرجل أين يذهب؟ المرأة الآن تذهب إلىٰ بناتها، والناس يقولون: البنت أولىٰ بها من غيرها وكذا وكذا، يبررون، ولم يكن الرجال في الماضي يسمحون لأمهاتهم أن يذهبن إلىٰ أصهارهم أبدًا.

وهذه لا شك ثغرة، ومن المصائب التي بُلي بها الرجال في هذا الزمان، لكن الرجل أين يذهب؟ وقد خرج منه أولاده واحدًا بعد الآخر، يذهب إليهم في بيوتهم وقد حسم ربنا الأمر بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، كنت عندهما لما كنت لا شيء، دون رعايتهما لم تكن لتعيش، وقد أشفقا عليك، واعتنيا بك، حتىٰ إذا أصبحت فتيًّا ورجلًا قويًّا خرجت وتركتهما، ما هذا، ما ينبغي هذا ولا يليق، والله المستعان، ثم تأملوا في جبر خاطِرهما يقول: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، هو يدعو ربه بالرحمة لهما: ألا يرحمهما هو بنفسه أيضًا؟! بلىٰ مؤكَّد عليه أيضًا أن يرحمهما، والإنسان إذا كبرت سنة يضعف كل شيء فيه، انظر إلىٰ جسمه من الخارج، كل شيء ضعف فيه، فيضعف جسمه وتضعف نفسه، يصبح بحاجة إلىٰ من يرحمه، ونسأل الله أن يرحمنا وإياكم برحمةٍ يغنينا بها عمن سواه من خلقه، لماذا يدعو لهما بالرحمة؟ تأملوا القرآن، ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، الكاف هنا ما نوعها؟

{تشبيه.}

تشبيه أو تعليل؟ هذه للتعليل، رب ارحمهما لماذا؟ لأنهما ربياني صغيرًا؛ إذ كنت ضعيفًا ربياني، وإذا ضعفا أرد إليهما شيئًا يسيرًا من الدَّين الذي لهما عليَّ، بهذا الدعاء، وتأملوا يا إخوان مر بنا في أول القواعد لمن حضر الدورة الماضية قاعدة جميلة جدًّا وهي "أن الحكم إذا عُلق بوصف فإنه يقوىٰ بقوة ذلك الوصف"، خذ مثلاً آية ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] في عشر صفات للرجال والنساء، قال الله في آخرها: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، هل المغفرة والأجر العظيم واحدة لكل الناس أم تتفاوت؟ تتفاوت، وهذا التفاوت بناء علىٰ هذا الوصف، قوة هذا الوصف، كلما كان الوصف أقوىٰ كلما كانت المغفرة والأجر أعظم بلا شك، طبِّقوا هذه القاعدة علىٰ الآية

﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، حتىٰ نعرف أن الآباء أحيانًا والأمهات أحيانًا يقصرون في التربية ثم يدفعون الثمن في آخر العمر، وهذا الذي حصل في الدول الأجنبية، لما أهملوا أطفالهم وتركوهم في أيدي المربيات وفي دور الحضانات كبر الأولاد دون أن ينظروا إلىٰ مزيد رعاية من الوالدين بهم فأهملوهم بالمثل، ولا قوة إلا بالله، وإن كان هذا لا ينبغي للمسلم، لا، حتىٰ لو قصر الوالدان فلا بد للإنسان يقوم بحقهما ما استطاع، لكن هذه قضية واقعة وحاصلة، ولهذا قال: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، فالدعوة لهما بالرحمة بناءً علىٰ ماذا؟ علىٰ التربية، فكلما كانت التربية أكثر كان حصول الرحمة من الله لهما أعظم وأكثر بلا شك، حتىٰ ما نلقي المسؤولية علىٰ الأولاد فقط.

قد ذكر لي أحد الإخوة قديمًا وكان يدرس في الخارج يقول عن امرأة كبيرة في السن، وسألتها عن أولادها قالت: لي ولد هنا وهنا وهنا، واحد يرسل لي في العيد معايدة، والسبب أني لما كنت شابة كنت أهملهم وكنت أذهب هنا وهناك وأنا الآن أدفع الثمن، والسبب يقول: كنت أذهب لدراسة ميدانية وهي امرأة مسنة، فقلت لها تأخذ فواتير الهاتف، فكانت تجمع لي الفواتير فلما جئت فليس هناك إلا رقم واحد، رقم واحد فقط، هذا الرقم لمن؟ طبعًا المكالمات في المملكة والمكالمات مكلفة، قلت: من تتصورين؟ قالت: صديقتك؟ قلت: نعم والله صديقة، وأعز صديقة لي في الدنيا، قالت: كيف تخسر كل هذه الأموال؟! قلت: أتدري من هذه الصديقة؟ قلت: من؟ قالت: أمي، يقول: فذرفتْ عيونُها، وقالت: أنا لي ثلاثة أولاد؛ واحد يعمل في الخليج، وآخر في مكان كذا، وآخر في مكان كذا، لا تدري عنهم إلا واحد يرسل لها معايدة في السنة وهكذا، وتعترف بالحقيقة وتقول: أنا السبب، أهملتهم يوم أن كانوا صغارًا.

فالمرأة التي تضم جنينها إلىٰ صدرها وترضعه من ثديها مثل من ترميه علىٰ الخادمة وتذهب إلىٰ عملها وترجع ولا تنظر إلىٰ ولدها؟! لا يمكن، فلزامًا علىٰ الآباء والأمهات أن يعتنوا بهذا الجانب قبل أن يخسروا أولادهم، وهذا أيضًا أقول: ليس مبررًا للأولاد أن يعقُّوا، لا، البر عبادة، ما تسقط بأي حال من الأحوال، ومن أجلِّ العبادات، بل هي أجلُّ العبادات بعد عبادة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولهذا ذكره الله في مواطن كثيرة بعد الأمر بعبادته، الآيات ما تخفاكم، المقصود أن الوالدين بعد كبر السن يحتاجون إلىٰ أن يجلس الأولاد معهم، أن يتحدثوا معهم، أن يؤانسوهم، اليوم الآباء والأمهات ليسوا بحاجة إلىٰ طعام وشراب، كل شيء متوفر ولله الحمد والمنة بقدر ما هم بحاجة إلىٰ المؤانسة والجلوس معهم والحديث معهم، وإذا كبرا وقعدا فإنهما يفرحان بالأولاد فرح الطفل الصغير بأبيه وأمه، إذا جلس عندهم أولادهم وتحدثوا معهم استأنسوا بهم وارتاحوا وأحسوا بالنشاط في قلوبهم تمامًا كما يفرح الطفل الصغير عندما يرىٰ أباه وأمه، حاجتهما إلىٰ الرعاية كبيرة؛ ولهذا قال ربنا: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ليسوا بحاجة إلىٰ أحد، لا الأولاد ولا غيرهم، ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]، هذا بالقول، وبدلًا من ذلك قل لهما قولًا كريمًا، هذا الجبر جبر الخاطر، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ كالطير يخفض جناحه علىٰ فراخه، وهذا بالفعل، ﴿وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

ذكر المؤلف رحمه الله أمثلة حقيقية جميلة جدًّا؛ كقوله -عَزَّ وَجَلَّ- بعد ما ذكر بالوالدين: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، ماذا بعدها؟ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، آتِ الأقارب، أعنِ الأقارب، صلِ الأقارب، صلِ الأرحامَ، لو قال: ليس عندي شيء أعينهم به؟ نقول: قل لهم

قولًا ميسورًا؛ كلامًا طيبًا: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]، تركت إعطاءهما، ترجو من الله إعانة ولا تستطيع أن تساعد قريبًا ولا تعين فقيرًا، فقل لهما قولًا ميسورًا، قد يأتي إليك الفقير ويعرض عليك حاجته إذا لم تستطع أن تعينه قل له قولًا حسنًا، ادعُ له، ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، أما أن يجتمع عدم إعطاء وسوء خلق عياذًا بالله، لا قوة إلا بالله.

لا خيل عندك تهديها ولا مال *** فليُسعد النطق إن لم تسعد الحال

كلمة طيبة صدقة، يقول الإنسان لهم كلمة طيبة، يعدهم خيرًا إن وسع الله عليه أن يعينهم، والله المستعان، وذكر المؤلف هنا أيضًا مسألة كبيرة وهي جبر ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- أنبيائه، وأصفيائه، وأوليائه عليهم الصلاة والسلام، وكم من الضيق والشدائد تحصل لهم، وهم أشد الناس بلاء، ومع ذلك يجبرهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويجعل العاقبة لهم، كما حصل لأيوب، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ويعقوب عندما شكا بثه وحزنه إلىٰ ربه، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وزكريا عندما شكا حاله وحال بني إسرائيل معه، وسأل ربه الولد، وتضرع إلىٰ الله بضعفه، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، ثم بعد ذلك بشره، وجاءته الملائكة تبشره بالولد علىٰ وهن عظمه وكبر سنه عليهم الصلاة والسلام.

المقصود: أن من كُسر خاطره فليتقرب الجبر ممن؟ من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولينتظر الفرج من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا، ولن يغلب عسرٌ يسرين، فكلما ضاقت بك الأحوال فأعظِم الرغبة والثقة

وحسن الظن بربك وتوقع الفرج منه سبحانه وتعالىٰ؛ ولهذا قال يوسف لإخوته بعد أن عرفوه وعرفهم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتهِ، أسألُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أنْ يرزقنا وإياكم العلمَ النَّافعَ، والعملَ الصَّالحَ، والدَّعوةَ إليه، ربِّ زدنا علمًا، ربِّ زدنا علمًا، ربِّ زدنا علمًا.

أخذنا فيما مضىٰ -يا إخوان- جملةً من القواعدِ والفوائدِ، منها الربوبيةُ والعبوديةُ، قسَّمها المؤلفُ إلىٰ قسمين، ما هما يا إخوان؟ عامةٌ وخاصةٌ، وكذا العبوديةُ أيضًا، عامةٌ وخاصةٌ، ما معنىٰ كون وصف العبوديةِ للنَّبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أشرفِ أوصافهِ؛ عبد الله، لماذا كان هذا الوصفُ من أشرفِ أوصافهِ، وصفه اللهُ به في جملة آياتٍ من القرآن.

طالب: الإضافةُ تقتضي العمومَ.

الإضافةُ تقتضي العمومَ، إذن "وما أنزلنا علىٰ عبدنا" قامت فيه جميعُ معاني العبوديةِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للعمومِ المفهوم من الإضافةِ.

مرضُ القلوبِ قسَّمها المؤلفُ إلىٰ قسمين: مرضُ الشهوةِ، ومرض...

{...}

ما وجهُ هذه القسمةِ يا إخوان؟ لماذا قسَّم هذه القسمةَ؟ لأن صحةَ القلبِ وسلامتَه ترجعُ إلىٰ أمرين، ما هما؟

{...}

هذا المرض؛ لكنَّ صحةَ القلبِ، إلىٰ العلمِ والإرادةِ، العلمُ باللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ومعرفتِهِ سبحانَهُ وبحمدهِ، فهذا يدفعُ الشبهاتِ، بشرطِ أنْ يكونَ العلمُ صحيحًا، لكن إذا كان العلمُ

منحرفًا كحالِ اليهودِ، لا، هذا لا قوةَ إلا باللهِ مما يزيدُ الشهواتِ، ولهذا لمَّا ذكرَ اللهُ اليهودَ قال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [المائدة:١٣]، عُدوا يا إخواني: ﴿لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]، طيب، القسوةُ أدت إلىٰ ماذا؟ ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا﴾ [المائدة:١٣]، تركوا، النسيانُ هو التركُ،﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣]، كلُّ هذا بسببِ نقضِ الميثاقِ، وخلافِهم لما أخذَ اللهُ عليهم من الميثاقِ من العملِ في الكتابِ، هذا ليس خاصًّا بهم، كلُّ من سارَ علىٰ طريقتِهم فهو مثلُهم، ولهذا شيخ الإسلامِ يقولُ: منْ ضلَّ من علمائنا فلهُ شَبهٌ بمن؟ باليهودِ، ومن عبادِنا له شبهٌ بالنَّصارىٰ، والإرادةُ، ما معنىٰ الإرادةِ؟ إرادةُ ما يحبُّه اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فإذا كان القلبُ يريدُ ما يحبُّ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فهو القلبُ الصحيحُ، السليمُ، وبها يسلمُ من الشَّهواتِ.

متىٰ يدلُ النفيُ علىٰ الكمالِ؟

....

إذا تضمَّنَ ماذا؟ ثبوتُ كمالِ ضدِه، بما نفىٰ اللهُ عن نفسِه، أو نفاهُ عن كتابِه، أو نفاهُ عن رسولِه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، عند تزاحمِ المصالحِ والمفاسدِ، إذا تزاحمتْ المصالحُ فماذا يفعلُ؟

هذا ما شاءَ اللهُ، أمرٌ عظيمٌ تتزاحمُ المصالحُ عند الإنسانِ، والمفاسدُ عياذًا باللهِ، يرتكبُ أدناها، وهذا عينُ الحكمةِ يا إخوان، الإنسانُ أحيانًا قد يُبتلىٰ بأمرٍ لا بدَ منه فيدفعُ أشدَّ الضررين بارتكابِ أخفِّهما، وإذا ترددَ الإنسانُ بين المصلحةِ والمفسدةِ، وكانت المفسدةُ راجحةً، فهل يعملُه أو يتركُه؟ إذا كانت المفسدةُ راجحةً، يتركُه، وإن كانت المصلحةُ راجحةً، نعم يعملُ.

ذكرَ أحوالَ التعاملِ مع الجناياتِ، وهي العدلُ، والفضلُ، والظلمُ، العدلُ واجبٌ، والفضلُ مسنونٌ، والظلمُ محرَّمٌ.

ثم ذكرَ النيَّةَ وأثرَها في ترتبِ الأحكامِ عليها، باركَ اللهُ فيكم يا إخوان، نعم.

{أحسنَ اللهُ إليكم.

قالَ المصنفُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ: القاعدةُ التاسعةِ والثلاثون في طريقةِ القرآنِ في أحوالِ السياسةِ الداخليةِ والخارجيةِ}.

نعم، هذا الموضوعُ الحقيقةُ ليس قاعدةً، كتابُ الشيخِ فيه بعضُ المباحثِ النفيسةِ، وهي أشبهُ ما تكونُ بالتفسيرِ الموضوعي، يعني موضوعٌ استقرأه الشيخُ، وتتبَّعَ في كتابِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ما يتعلقُ بالسياسةِ حتىٰ في سياستِك أنتَ أيها الإنسانُ مع نفسِك، ومع أهلِك، ومع الآخرين، ولهذا أشارَ الشيخُ إلىٰ جملةٍ من الفوائدِ، يشيرُ إليها إشارةً، وكل مسألةٍ تحتاجُ حقيقةً إلىٰ بسطٍ، لكنَّ الشيخَ يشيرُ عليها، وأنت تبحثُ عن بسطِها في الكتبِ، فمثلًا: الشُّورىٰ والتَّشاورُ، الإنسانُ في حياتِه الخاصةِ يحتاجُ إلىٰ المشورةِ، حتىٰ قالَ اللهُ عن المؤمنين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورىٰ:٣٨]، في عمومٍ هنا يا إخوان أين هو؟ نريدُ القواعدَ.

طالب: عمومُ الجمعِ.

طيب العمومُ هنا من أين جاءَ؟.

طالب: في الإضافةِ.

الإضافةُ يا إخوان الأمرُ هنا الجميعُ يتشاورون فيه، ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨]، فهم يتشاورون في كلِّ أمرٍ يحتاجُ إلىٰ الاستشارةِ، حتىٰ أنَّ اللهَ قالَ لنبيه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩]، هنا العموم أين، أين هو؟

....

في الأمرِ.

.....

الألفُ واللامُ للاستغراقِ، يعني في كلِّ أمرٍ يحتاجُ إلىٰ الاستشارةِ، ما لا يحتاجُ إلىٰ الاستشارةِ، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[آل عمران:١٥٩]، والإنسانُ يا إخوان من وفرةِ عقلِه يستشيرُ، ولهذا قالوا: من يستشيرُ يفكرُ بعقلِه، وبعقلِ غيره، الشيخُ محمد يقولُ: لو قرأتَ الموضوعَ مرتين وثلاثًا وجدتَ أنَّك تدركُه أكثرَ من لو أنَّك قرأتَه مرةً، فكيفَ إذا كانَ الإنسانَ يستشيرُ أكثرَ من شخصٍ، والإنسانُ في أعمالِه التي تحتاجُ إلىٰ الاستشارةِ يستشيرُ ويستخيرُ أيضًا، والاستخارةُ عظيمةٌ، أعظم، يستخيرُ مَنْ يا إخوان؟

{الله.}

يستخيرُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وكانَ أهلُ الجاهليةِ يستقسمون بالأزلامِ، أعوادٌ يكتبون عليها، الأزلامُ هي السِّهامُ، افعلْ، لا تفعلْ، والثالثُ غُفلٌ فارغٌ، فيحركُها ثم يخرجُها، إذا في افعلْ ذهبَ، إذا في لا تفعلْ جلسَ، إذا خرجَ الغُفلُ الذي ليس فيه شيءٌ، أعادها مرةً ثانيةً، وقال تعالىٰ: (وأن تَستقسِموا): يعني يطلبون ما قسمَ لهم بهذه الأغراضِ، وأنت يا عبدَ الله تطلبُ ما قسمَ لك باستخارةِ ربكَ، ثمَّ قد تحتاجُ إلىٰ أن تستشيرَ.

وإذا استشرتَ فمن تستشيرُ؟ أهلُ الخبرةِ يا إخوان، لا يُشَاورُ أيُّ أحدٍ، يعني واحدٌ يريدُ مشروعًا تجاريًّا، هل يستشيرُ طالبَ علمٍ، لا يمكنُ، إنسانٌ في زراعة هل يستشيرُ تاجرًا، يستشيرُ أهلَ الخبرةِ ومن له خبرةٌ ودرايةٌ، إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستعنْ برأي رشيدٍ، نصيحتُه حازمةٌ، ولا تحسبْ الشورىٰ عليك غضاضةً، فريش الخَوافِي قوةٌ للقوادمِ، ما هي الخوافي يا إخوان؟ والقوادم؟ القوادمُ ريشُ الطيرِ الطويلِ، وبعدَ الريشِ الطويلِ، ريشٌ صغيرٌ، هل يُستغنىٰ عن الصغيرِ؟ لا، هذا الريشُ الصغيرُ قوةٌ للريشِ الكبيرِ، فلا تحسبْ الأمرَ غضاضةً عليك، ولكنْ استشرْ ذا الرأي.

أيضًا تحدَّثَ المؤلفُ عن الأمرِ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ، وأنَّه صمامُ أمانٍ للمجتمعِ، فيأمرُ الإنسانُ بالمعروفِ، وينهىٰ عن المنكرِ علىٰ قدرِ استطاعتِه كما ذكرَ النَّبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا أظنُّ أحدًا يقولُ لا أستطيعُ، إذا لم يستطعْ بيدِه، وهذا لا يستطيعُه إلا صاحبُ السلطةِ، وفي بيتِه وكذا، إذا لم يستطعْ فبلسانِه، إذا لم يستطعْ بلسانِه فبقلبِه، وهذه ليس فيها استطاعةٌ.

وللأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ آدابٌ وشروطٌ وهو علمٌ، ولهذا الشيخ عبد الرحمن مرَّ بنا في إحدىٰ القواعدِ من قاعدةِ اللزومِ، ذكرَ هذا الأمرَ، وذكرَ من تصدىٰ لأمرٍ يتأكدُ عليه أن يطلبَ العلمَ فيه، فليستْ المسألةُ حميةً، أو غيرةً فقط، لا، وإنما المسألةُ علمٌ، ولهذا أُثرَ عن بعضِ السلفِ كلمةٌ فائقةٌ فقالوا: ينبغي أن يكونَ الآمرُ بالمعروفِ والنَّاهي عن المنكرِ عالمًا بما يأمرُ، عالمًا بما ينهىٰ، رفيقًا بمن يأمرُ، رفيقًا بمن ينهىٰ، حليمًا علىٰ من يأمرُ، حليمًا علىٰ من ينهىٰ، لاحظوا هذه العباراتِ الجميلةَ يا إخوان، علمَ متىٰ؟ قبل الأمرِ، قبل النهي، يكونُ عندَك علمٌ شرعيٌّ، وعلمُ الواقعِ أيضًا، إنَّ الأمرَ قد حدثَ، اثنتان: أنَّ الأمرَ متىٰ؟ متىٰ يكونُ رفيقًا؟ أثناءَ الأمرِ والنهي؛ لأنَّ الرفقَ لم يكنْ في شيءٍ إلا زانَه، ولم

يُنزعُ من شيءٍ إلا شانَه، حليمًا متىٰ؟ بعد الأمرِ وبعد النَّهي؛ لأنَّه قد يتعرضُ لكَ شيءٌ، قد يُقالُ لكَ كلمةً، قد، وقد، الحليمُ عندَه طولُ بالٍ؛ لأنَّه إن لم يكنْ حليمًا ربما ذهبَ ينتقمُ لنفسِه، وليتوقىٰ الإنسانُ ويحذرَ غايةَ الحذرِ ألا يدعو ولا يأمرَ ولا ينهىٰ إلا بعلمٍ.

ولا يخفاكم ذلكَ الرجلُ الذي رأىٰ رجلًا علىٰ معصيةٍ فنهاه، ثم رأه فقالَ بعدَها: واللهِ لا يغفرُ اللهُ لكَ، إنما قالها غيرةً وحميةً، فقالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: من ذا الذي يتألىٰ عليَّ ألا أغفرَ له، قد غفرتُ له، وأحبطُ عملَك، قال أبو هريرة: قالَ كلمةً أوبقتْ دنياه وآخرتَه، قال عكرمةُ لعمارٍ: لأجل، هذه كلمةٌ يقولُها الواحدُ منا لأهلِه، يتساهلُ الناسُ في هذا الأمرِ، في هذا الجانبِ، من الأمورِ المهمةِ جدًّا في هذا المجالِ، ما غايةُ الإنسانِ عندما يأمرُ وينهىٰ، أو يدعُو إلىٰ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، هل غايتُه إبراءُ ذمتِه فقط، أو غايتُه الإصلاحُ، أو الأمران جميعًا؟ الأمران جميعًا بلا شكٍّ، ما الدليلُ؟ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤]، ولعلَهم يتَّقون هذه مهمةٌ عظيمةٌ يا إخوان، وكثيرٌ منا من يدخلُ في هذا الأمرِ لا يستحضرها، يريدُ فقط العذرَ أمامَ اللهِ أنه تكلَّمَ بهذا الأمرِ، طيب ولعلهم يتَّقون أين هي؟ ولهذا تجدُ كثيرًا مِن مَن ينهىٰ ويأمرُ يندفعُ ويغضبُ، مع أنَّه يعرفُ أنَّ مثلَ هذا الصنيعِ لا يُصلحُ من الأمرِ شيئًا، توبخُه وتكلمُه وترفعُ الصوتَ حتىٰ لو كان ولدُك، إذا أغلظتَ عليه الكلامَ، فلن يقبلَ منكَ، فاستشعرْ يا أخي عندما تأمرُ وتنهىٰ وتدعُو إلىٰ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لعلهم يتَّقون ، هذه تجعلُ الإنسانَ رفيقًا، لمَّا مرَّ يهوديٌّ علىٰ النَّبِّي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال: السَّام عليكم، قالت عائشة: وعليك السَّام واللعنة، قال: «يا عائشة إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرفقَ في الأمرِ كله»، ألم تسمعي لما قلت؟ ماذا قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- انظرْ الحلمَ والعلمَ، قالَ: «وعليكم»، يعني عليك السَّام الذي قلتَه، ولا حاجةَ للغلظةِ والكلامِ الذي قد يؤخرُ الغايةَ التي من أجلها أنتَ تأمرُ وتنهى.

من الموضوعاتِ الحقيقةِ الشيخَ ذكرَ جملةً من الآياتِ، لكن يشارُ إليه كما يشيرُ هو، موضوعٌ غايةٌ في الأهميةِ، وهو لزومُ الجماعةِ، ومبدأُ السمعِ والطاعةِ، وعدم الفُرقةِ، وهذه أصولٌ يا إخوان من أصولِ أهلِ السنةِ والجماعةِ، ولهذا نحن أهلَ السُّنةِ وأيش؟ الجماعةَ، لا يجوزُ للواحدِ أنْ يقولَ: أنا أهلُ السُّنةِ فقط،، لا، أنتَ من أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، ولهذا لما تكلَّمُ النَّبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الفُرقةِ، وذكرَ افتراقَ الأمةِ إلىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقةً قالَ: كلها في النارِ، قال في روايةٍ عند أبي داوود: قالوا من هي يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «الجماعةُ»، في روايةٍ من كان علىٰ مثلِ ما أنا عليه وأصحابي، والجماعةُ هم عصابةٌ من المؤمنين اجتمعوا حولَ إمامِهم ودانوا له بالسمعِ والطاعةِ وعقدوا له البيعةَ، هذه هي الجماعةُ يا إخواني، وهي التي كان عليه السوادُ الأعظمُ من الصحابةِ، وعليه أهلُ الحديثِ والأثرِ، وما خالفَ أحدٌ هذا المبدأَ فنالَ خيرًا أبدًا، والجماعةُ بمثابةِ السورِ الذي يحمي البلادَ، بل ويحمي الأمةَ كلها، ولهذا قالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الحديث الذي يتأكدُ كلُّ واحدٍ ينظرُ فيه ويتأملُه، نضَّرَ اللهُ امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، وربما حاملُ فقهٍ غيرُ فقيهٍ، وربما حاملُ فقهٍ إلىٰ من هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يُغل عليهن قلبُ مسلمٍ، يعني تحفظُ القلبَ من الغلِّ، إخلاصُ العملِ للهِ، وطاعةٌ للأمرِ، وفي روايةٍ مناصحةُ ولاةِ أمورِ المسلمين، ولزومُ جماعتِهم، قال بعدها يا إخوان كلمةٌ جميلةٌ، قال: فإن دعوتهم تحيط من ورائهم دعوةُ الجماعةِ، وهي دعوةُ الإسلامِ، تحيطُ من ورائهم ، يعني أنّها بمثابة السورِ، الذي يحميهم ويحفظُهم اللهُ سبحانه وتعالىٰ به، فإذا نقض السورُ ماذا يحدثُ يا إخوان؟ يدخلُ الأعداءُ، وهذا الذي يحدثُ يا إخوان عندما اُستهين بالجماعةِ ونُقضت الأسوارُ، جاءَ الأعداءُ من كلِ حدبٍ وصوبٍ، ولا قوةَ إلا باللهِ، وهذه أحاديثُ يتأكدُ علىٰ طالبِ العلمِ أنْ يجعلَها بين ناظريه، وأنْ يعرضَها علىٰ أبناءِ المسلمين وشبابِهم، حتىٰ لا يكونوا ضحايا للفتنِ في آخرِ الزمانِ، ومن سماتِ آخرِ الزمانِ انتشارُ الفتنِ ولا قوةَ إلا باللهِ،

وفي حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو لما كانوا في سفرٍ مع النَّبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونادهم الصلاةُ جامعةٌ واجتمعوا قال: «إنَّ أمتكم هذه جُعلتْ عافيتُها في أولِها، وسيكونُ في آخرِها أمورٌ وبلاءٌ، تأتي الفتنةُ فيقولُ المسلمُ هذه مهلكتي، ثم تنكشفُ، ثم تأتي الفتنةُ، فيقولُ: هذه هذه، فمن أحبَ أن يُزحزحَ عن النارِ ويدخلَ الجنةَ فلتأته منيتُه وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليأتِ إلىٰ الناسِ الذي يحبُ أن يأتوا إليه»، زمانُ فتنٍ كثيرةٍ يا إخواني، وإذا أُضعفَ هذا المبدأَ، مبدأُ الجماعةِ، فماذا يبقىٰ؟ وإذا كانتْ الجماعةُ رحمةً كما جاءَ في الحديثِ، الجماعةُ رحمةٌ والفرقةُ عذابٌ، اقرأوا يا إخوان قولَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام:٦٥]، شيعٌ وأحزابٌ وجماعاتٌ، وأحزابٌ، عذابٌ يا إخوان، بنص القرآنِ، فكيف يرضىٰ الشابُ المسلمُ لنفسِه أن يدخلَ تحتَ مظلةِ عذابٍ ولا قوةَ إلا باللهِ، فالسيرُ علىٰ النهجِ الأولِ والطريقِ الأمثلِ لا شكَّ فيه السلامةُ، وفيه العافيةُ، وانظرْ إلىٰ ما وردَ عن المصطفىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي بدأ وأعادَ في هذا الأمرِ، وحذَّرَ الأمةَ من الفرقةِ والاختلافِ، ولو أخذَوا يا إخواني بسنته لبقوا علىٰ ما هم عليه، لكن للهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ، فإنَّه من يعشْ منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، وقد حصلَ الاختلافُ الكثيرُ، خرجَ الخوارجُ علىٰ عثمان وقتلوه، كم كان عمره، ثمانين سنة، لو كانَ يهوديًّا أو نصرانيًّا أو حتىٰ مشركًا، ولا رأي لهم في قتاله، لم يجز قتلُه، فكيفَ بأفضلِ رجلٍ علىٰ وجهِ الأرض، أصدروا فتوىٰ بكفرِه وقتلوه، وقتلوا عليًّا رضي الله عنه في رمضان، وهو ينادي لصلاة الفجر، وقتله ابنُ ملجم الشقيُّ، وقُدِّمَ للقتلِ وهو يكبرُ ويهللُ نعوذُ بالله، حيلَ بينه وبين التوبة حتىٰ، ويظنُّ أنَّه علىٰ جادةِ صوابٍ، وجادةِ خيرٍ، فنسألُ اللهَ الحفظَ والعصمةَ والسلامةَ لنا ولكم وللمسلمين عامةً.

وحديثُ حذيفةَ في الصحيحين كالشمسِ، ومشايخُنا منذ أن أطلَّ علينا هذا القرنَ، وهم ينصحون به الناسَ، ويوجهونهم إليه، الْزمْ جماعةَ المسلمين وإمامَهم، قال: أرأيتَ إن لم يكن لهم إمامٌ، رضي الله عن حذيفةَ لم يتركْ شيئًا، وصلواتُ ربي وسلامُه علىٰ رسولِه قال: «اعتزلْ تلك الفرقَ، ولو أن تعضَ علىٰ أصلِ شجرةٍ حتىٰ يأتيك الموتُ وأنتَ كذلكَ»، لو تأخذ جذعًا كما في الرِّواياتِ، وتعض حتىٰ لا تتكلَّمَ بشيءٍ، هذا هو منهجُ محمدٍ بنِ عبدِ اللهِ صلوات ربي وسلامه عليه، ومع ذلك يخفَىٰ علىٰ الكثيرِ، فالحقُّ يا إخواني أوضحُ من الشمسِ وللهِ الحمدُ والمنةُ، وقد بيَّنَ البيانَ المبينَ، ونصحَ الأمةَ صلواتُ ربي وسلامُه عليه، فاللهَ اللهَ في المحافظةِ علىٰ السُّنةِ والجماعةِ، فهذا أمرٌ عظيمٌ، ومبدأٌ كبيرٌ، وأصلٌ من أصولِ عقيدةِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، تكلَّمَ الشيخَ الحقيقةَ عن إقامةِ الحدودِ وتأثيرِها في ضبطِ الأمنِ في البلادِ، أشارَ إشاراتٍ لطيفةً إلىٰ جملةٍ من الموضوعاتِ، نعم.

{القاعدةُ الأربعون في دلالةِ القرآنِ علىٰ أصولِ الطبِ}.

نعم، دلالةُ القرآنِ علىٰ أصولِ الطبِّ، ذكرَ الشيخُ رحمَه اللهُ ثلاثةَ أشياءٍ للطب:

أولًا: استعمالُ الأشياءِ النافعةِ من طعامٍ وشرابٍ.

ثانيًا: الحميةُ علىٰ الأشياءِ الضارَّةِ.

ثالثًا: دفعُ الأشياءِ المؤذيةِ باستعمالُ الأدويةِ وما أشبهَ ذلك.

ذكرَ اللهُ سبحانَه وتعالىٰ الأولىٰ والثانية في آيةٍ، حتىٰ قالوا إنَّ هذه الآيةَ فيها نصفُ الطب، بل فيها الطبُّ كله، قال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف:٣١]، كلُوا واشربُوا استعمالُ الشيءِ المفيدِ، ولا تسرفُوا تركُ الشيءِ الضارِ، وفي السنةِ من هذا أحاديثٌ كثيرةٌ كان الشيخُ في قواعدِ التفسيرِ بينها بإيرادِ الآياتِ الواردةِ في هذا الأمرِ، وذكرَ أيضًا أن التيممَ شُرعَ إذا كان

في استعمالِ الماءِ ضررٌ علىٰ من يتوضأ به، جازَ له أن يتيممَ، حلقُ الرأسِ بالنسبةِ للمحرمِ إذا تأذىٰ برأسِه كما في حديثِ كعبِ بن عجرة، يحلقُه ويفدي، بل إنَّ في العباداتِ يا إخوان فوائدُ صحيةٌ، ففي الصيامِ صحةٌ، وقد روي في الأثرِ صومُوا تصحُوا، وفي الصلاةِ وفي سائرِ العباداتِ، فيها فوائدُ صحيةٌ، ولا شكَّ أنَّ جانبَ العبادةِ هو الأعظمُ، لكن لا يُنكرُ هذا الجانبُ بل لا يُغفلُ، ولهذا كانَ في العباداتِ كلها طمأنينةٌ وراحةٌ، قرةُ عينٍ ولذَّةُ قلبٍ يا إخوان، وكان عليه السلام يقولُ: ارحنا بها يا بلال، وكانَ يقولُ: جُعلتْ قرةُ عيني في الصلاةِ، وإذا ارتاحَ الإنسانُ يا إخوان فالراحةُ هذه صحةٌ نفسيةٌ مطلوبةٌ، وصحةُ النفسِ في ذكرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وفي التسبيحِ والتهليلِ، والدعاءِ وما أشبَه ذلكَ من هذه العباداتِ العظيمةِ الجليلةِ، التي فيها الراحةُ والصحةُ التي يبحثُ عنها الناسُ في كلِ مكانٍ، نعم.

أحسنَ اللهُ إليكم

{القاعدةُ الحاديةُ والأربعون، يُرشدُ اللهُ تعالىٰ عبادَه في كتابِه من جهةِ العملِ إلىٰ قصفِ نظرهم إلىٰ الحالةِ الحاضرةِ التي هم فيها، ومن جهةِ الترغيبِ فيه والترهيبِ من ضدِه إلىٰ ما يترتبُ عليها من المصالحِ، ومن جهةِ النعمِ إلىٰ النظرِ إلىٰ ضدها}

نعم يرشدُ ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- في ما يتعلقُ بالعملِ إلىٰ أنَّك تتعلقُ بالعملِ الموجودِ الآن، ولا تعلِّقْ نفسَك بشيءٍ يأتي مستقبلًا، فإنَّ الإنسانَ إذا نظرَ إلىٰ المستقبلِ تشاغلَ عن ماذا يا إخوان؟ عن الحاضرِ، حتىٰ إذا جاءَ المستقبلُ ضعُفَ حماسُه له أيضًا، ودائمًا الشيءُ المفقودُ تتطلعُ النفسُ إليه، ولكن إذا وجِدَ، هل رأيت السلعةَ تكونُ في المحل التجاريِّ قبل أنْ تشتريَها، تحبُ أن تشتريَها، فإذا اشتريتها وأخذتها ربما تتمنىٰ أنَّك ما اشتريتها ذكرَ ربنا هذا في نصوصٍ من كتابِه، مثل قولِه تعالىٰ عن بني إسرائيلَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ

إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا﴾[البقرة:٢٤٦] ،طلبوا القتالَ قبل أنْ يُفرضَ فلما كُتبَ تولوا، وقال نظيرَ ما قال بنو إسرائيلَ عن أصحابِ محمدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورضي عنهم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾[النساء:٧٧]، قيلَ لهم لا تقاتلوا، القتالُ ليس من مصلحتكم ولا مصلحة المسلمين، والمسلمون في حالِ ضعفٍ، وكانوا راغبين في القتالِ، متحمسين له، فلما فُرِضَ عليهم القتالُ حصلَ ما حصلَ، وقالَ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[آل عمران:١٤٣]، كانَ أناسٌ يتمنون الموت بعضُهم لم يشهدْ غزوةَ بدرٍ، فقالَ ما يُفهمُ منه أنَّه يتمنىٰ أن لو حضرَ، ولو قاتلَ، فلمَّا فُرضَ القتالُ، وحصلَ ما حصلَ في غزوةِ أحدٍ ، حصلَ من المقاتلين ما حصلَ، وما حصلَ من الرماةِ إنْ تخلوا عن الجبلِ، ولكن مع ذلك ثبتَ المصطفىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وثبتَ حوله الأشاوسُ رضي اللهُ عنهم وأرضاهم، وصدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه، وقُتلَ منهم قرابةَ السبعين منهم جلةٌ من الصحابة، وهم يدافعون عنه لما غشيه المشركون صلواتُ الله وسلامه عليه، المقصودُ أنَّ الإنسانَ لا يتمنىٰ الشيءَ قبل وقوعِه خشيةَ أنَّه إذا وقعَ لا يستطيعُ أن يعملَ، تأملوا هذه الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [التوبة:٧٥،٧٦]، فيما يتعلقُ بالترغيبِ، والترهيبِ.

{ومن جهةِ الترغيبِ فيه والترهيبِ من ضده، إلىٰ ما يترتبُ عليها من المصالحِ}.

المصالحُ، لما يرغبُ ربُنا في أمرٍ من الأمورِ، يذكرُ ما يترتبُ عليه من المصالحِ، إنَّما يحذرُ ويخوِّفُ من أمرٍ من الأمورِ يذكرُ أيضًا ما يترتبُ عليه من المفاسدِ؛ لأنَّ مثلَ هذا كفيلٌ

بحثِ الإنسانِ علىٰ العملِ، طلبًا للمصلحةِ، أو تركًا للعملِ خوفًا من المفسدةِ، في ما يتعلقُ بالنعمِ يذكِّرُ ربُنا -عَزَّ وَجَلَّ- بالضد، في آياتٍ كما في قولِه -عَزَّ وَجَلَّ- في قولِ شعيبٍ لقومِه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:٨٦]، وقالَ مخاطبًا أصحابَ محمدٍ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأنفال:٢٦]، وقالَ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، يذكِّرهم -يا إخوان- حتىٰ يعرفَ الإنسانُ قدرَ النعمةِ ينظرُ في ضدِها فيعرفُ قدرَ ما هو عليه، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص:٧١]، وقال هذا في النهارِ أيضًا، والمقصودُ أنَّ الإنسانَ يحتاجُ إلىٰ أنْ يتعرفَ نعمَ اللهِ، وأنْ يشكرَ نعمَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وينظرَ إلىٰ حالِه، وإلىٰ حالِ من سُلبَ هذه النعمةَ، حتىٰ يعرفَ نعمةَ اللهِ عليه، ويشكرَها فتدومَ النعمةُ بل تزيدُ كما قالَ ربُنا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، ما معنىٰ كفرتم يا إخوان؟

هل الكفرُ هنا الكفرُ المخرِجُ من الملةِ، لا، إنما الكفرُ هنا جحودُ النعمةِ، لا يعترفُ بها، أو يضعُها في غيرِ ما يحبه اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فالواجبُ علىٰ الإنسانِ أنْ يشكرَ اللهَ علىٰ نعمِه، وأنْ يعرفَ ما يعينه علىٰ شكرِ هذه النعمِ، وهو النظرُ إلىٰ ضدها كما ذكرَ الشيخُ، نعم.

أحسنَ اللهُ إليكم {القاعدةُ الثانيةُ والأربعون، هي أنَّ اللهَ قد ميزَ في كتابِه بين حقه الخاص، وحق رسوله الخاص، والحق المشتركِ}.

الحقوقُ يا إخوان ثلاثةٌ أو أربعةٌ، حقٌّ خاص للهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وهو عبادتُه سبحانه وبحمده، فهذا حق لا يشركه فيه أحدٌ، لا مَلكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ.

الثاني: حق لرسوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تعزيرُه، توقيرُه، تأييدُه ونصرُه.

الثالث: حق للهِ تعالىٰ ولرسولِه، حق مشترك، والإيمانُ باللهِ ورسوله، طاعةُ اللهِ ورسوله، محبةُ اللهِ ورسوله، وقد جمعَ اللهُ هذه الحقوقَ الثلاثةَ، فقالَ: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح:٩]، هذا مشتركٌ، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح:٩]، في حق النبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩]، وهذا في حق الرب -عَزَّ وَجَلَّ- علىٰ أحدِ القولين، لأنَّ هناك قولًا يرد الضمائر كلها إلىٰ الربِّ سبحانه وبحمده.

هناك حق رابعٌ: وهو حق ذي الحق، وقد ذكرَ اللهُ تعالىٰ حقوقهم في آيةِ الحقوقِ العشرةِ، ما هي؟

{واعبدوا الله.}

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٦]، هؤلاء لهم حقوقٌ أيضًا، لكن ذكرَ الشيخُ هنا أنَّه ينبغي أنْ يُعلمَ في الحقِ المشتركِ أنَّ حق النبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليس كحقِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- في الطاعةِ وهي مشتركةٌ، في الإيمانِ مشتركٌ، في المحبةِ، المحبةُ مثلًا تذللٌ وخضوعٌ، محبةُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، أمَّا محبةُ النبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وطاعةُ النبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهي تابعةٌ لطاعةِ اللهِ، فمحبته محبةٌ في اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا شك أنَّ الواجبَ علىٰ المسلم محبته محبةً عظيمةً أعظمُ من محبةِ النفسِ والمالِ والأهلِ والولدِ، وأمّا طاعةُ اللهِ ومحبةُ اللهِ، ففيها ولا شكَّ التذللُ والخضوعُ له سبحانه وبحمده، نعم.

{أحسنَ اللهُ إليكم.

القاعدةُ الثالثةُ والأربعون، يأمرُ اللهُ تعالىٰ بالتثبتِ وعدمِ العجلةِ في الأمورِ التي يُخشىٰ من عواقبها}.

نعم، هذه قاعدةٌ جميلةٌ، يحتاجُ الحقيقةُ الناسُ إليها عمومًا، والشبابُ يحتاجون إليها خصوصًا، وهي التثبتُ وعدمُ العجلةِ والأناةِ، فإنَّ الأمرَ إمَّا أنْ يكونَ مصلحةً، فهذا أَقبِلْ عليه وبادرْ إليه، بل وسابقْ إليه، وإمَّا أنْ يكونَ مضرةً فهذا أحجِمْ عنه وأعرِضْ عنه، وإمَّا أنْ يكونَ مترددًا بين المصلحةِ والمفسدةِ، بين المصالحِ أيها أعلىٰ هذه أو هذه، فماذا يعملُ؟ ماذا يعملُ في هذا يا إخوان، يتأنّىٰ، وفي تأنيه يستخيرُ ويستشيرُ لا يتسرعُ، وشواهدُ هذا في القرآنِ قالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء:٩٤]، ونقفُ عند كلمةِ كذلك كنتم من قبلُ، وسببُ نزولها أنَّ النبيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانَ في غزوةٍ، لإحدىٰ القبائلِ، فمرَّ رجلٌ، القبيلةُ تحاربُ، مرَّ رجلٌ معه غنمٌ فسلَّمَ، فقتلوه وأخذوا غنمه، فنزلتْ الآيةُ، لا تقولوا لمن ألقىٰ إليكم السلامَ لست مؤمنًا تأنوا، ثم قال: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء:٩٤]، ذكَّرهم بحالتِهم التي كانوا عليها قبل أنْ يمنَّ اللهُ عليهم بالهدايةِ، وعليه فمنْ يدعو إلىٰ اللهِ، منْ يأمرُ بمعروفٍ، منْ ينهىٰ عنْ منكرٍ، يتذكَّرُ أيضًا يا إخوان حالتَه سابقًا، أو حالةَ أقاربه أو ما أشبه ذلك، فإنَّ ذلك يفيدُه كثيرًا في الرفقِ بالناسِ؛ ولهذا ربنا ذكَّرَ أكرمَ الناسِ بحالته في صغره فقالَ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحىٰ٦-٨]، ثم قال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحىٰ١٠،٩]، التأني يا إخوان مطلوبٌ في الأمورِ كلها، وقد قالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأشج عبد القيس: ماذا قالَ له يا إخوان؟ «إنَّ فيك خصلتين»، حديثٌ يا إخوان في أولِ حديثِ مسلمٍ، وقصةُ أنَّ فيك خصلتين يحبهما اللهُ الحلمُ ،وقصةُ الأشج رضي الله عنه أنَّه جاءَ وقومُه، قادمين من البحرين، والبحرين إذ ذاك الأحساءُ، لأنَّ فيها بحرَ العيونِ والبحرَ الكبيرَ، وهي تطلقُ علىٰ الخليجِ علىٰ العمومِ، فلما قدموا نزلوا من رواحلهم وجاءوا إلىٰ النبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مباشرةً، هو تأخرَّ رضي اللهُ عنه وعقلَ

الإبلَ وأخذَ ثيابًا نظيفةً من متاعه ولبسها، هؤلاء وفد، ولا بد للوفدِ أنْ يكونَ لهم تجملٌ، ولهذا لمّا لقي عمرُ جبةً من إستبرقٍ تُباعُ في السوقِ، أخذها وجاءَ قالَ ابتاعها يا رسول اللهِ تتجمّلُ بها للوفدِ وللعيدِ، فلمّا رآه النبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قرّبه ثم عرضَ عليهم النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: «بايعوني علىٰ الإسلامِ عنكم وعن من وراءكم»، فقالوا نعم يا رسول الله نبايعك، فقالَ الأشجُ رضي اللهُ عنه يا رسول الله نبايعك عن أنفسِنا بل قال: إنك لم تزاولْ الرجلَ علىٰ شيءٍ أشدَّ من دينه، نبايعُك عن أنفسنا وأمَّا قومنا فنذهبُ إليهم فندعوهم، فإنْ أسلموا وإلا قتلناهم، فعجبَ النبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأيه وقالَ فيه هذه المقولةُ العظيمةُ «إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة».

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ، هذا بيتٌ، يقول: تأن ولا تعجبْ بلومِك صاحبًا، لعلَّ له عذرًا وأنت تلومه، يتصلُ بك أحدٌ يقول: أنا سآتيك بعد المغربِ تأخرَ ولم يأت، وعدني فلان، ولم يأت، لا أواعدُه بعد اليومِ، وأرسلت له رسائلَ، وإذا الرجلُ في أزمةٍ ولا في مستشفىٰ ولا في كذا، فتندمُ بعد ذلك، وقيلَ:

قد يدركُ المتأني بعضَ حاجته *** وقد يكونُ مع المستعجلِ الذللُ

وقد تفوتُ علىٰ قومٍ حوائجُهم *** من التأني وكانَ الحزمُ لو عجلوا

أحيانًا العجلةُ مطلوبةٌ، وأحيانًا التأني مطلوبٌ، عندك مريضٌ وعلىٰ خطرٍ، تقولُ: التأني طيبٌ، هذا تذهبُ به إلىٰ المستشفىٰ مباشرةً.

وأمَّا المبادرةُ إلىٰ الخيرِ والمسارعةُ فيه فقد ذكرها ربنا في آياتٍ أعطوني بعضها، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الحديد:٢١]، ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون:٦١]، ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة:١٠]، أي السابقون إلىٰ الأعمالِ

الصالحاتِ في الدنيا هم السابقون إلىٰ أعلىٰ الدرجاتِ في الجنةِ، نسألُ اللهَ الكريمَ من فضلِه، المقصودُ أنَّ الإنسانَ يبادرُ، النبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أحاديث كثيرةٍ، يقولُ: «بادروا»، لا سيما قبلَ الفتنِ نسألُ اللهَ أنْ يحفظنا وإياكم والبلادَ والعبادَ، بادروا بالأعمالِ فتنًا كقطع، بادروا بالأعمال ستًا وسبعًا، فالمقصود أنَّ الإنسانَ يبادرُ، ولا يسوفُ، ولا يؤجلُ في ما شأنِه المبادرةُ، ويتأنىٰ في ما شأنِه التأني، نعم.

{أحسن الله إليكم.

القاعدةُ الرابعةُ والأربعون، عندَ ميلانِ النفسِ أو خوفِ ميلانها إلىٰ ما لا ينبغي يذكِّرُها اللهُ ما يفوتها من الخيرِ، وما يحصلُ لها من الضررِ}.

تميلُ النفسُ يا إخوان أحيانًا إلىٰ ما لا ينبغي، والنفسُ لها هوىٰ، كلُّ نفسٍ لها هوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠، ٤١]، فعندما تميلُ النفسُ أو يُخشىٰ ميلانُها إلىٰ أمرٍ من الأمورِ يذكِّرُها ربُنا بما يفوتُها من الخيرِ وما يحصلُ لها من ضده، وذلك لأنَّ بعضَ الناسِ ما يكفي فيه الأمرُ والنهي، لا، لا بد مع الأمرِ من ترغيبٍ، ومع النهي من ترهيبٍ، ويذكرُ ربنا هذا في آياتٍ قال تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨]، لماذا ختمَ ربنا هذه الآيةَ بقوله واللهُ عنده أجرٌ عظيمٌ؟ قال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:٢٨]، فمن فُتنَ بالمالِ والولدِ وألهاه عن طاعةِ اللهِ فماذا يحصلُ له؟ يفوتُه الأجرُ العظيمُ من اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- قالَ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا﴾[الشورىٰ:٢٠]، فقط، ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[الشورىٰ:٢٠]، وقالَ في هذه الآيةِ الجليلةِ العظيمةِ، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧]، هذه كما ذكرَ عن بعضِ السلفِ من أعظمِ الآياتِ

التي تكشفُ الدنيا، وتهتكُ سترَها، وتزهِّدُ العاقلَ فيها، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥]، عمره مئةُ سنةٍ، وعنده من الدنيا ملايين أو حتىٰ أكثر، ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[الشعراء: ٢٠٦]، جاءه الموتُ ماذا تُغني عنه هذه الدنيا، ذهبَ وتركَها وراءه، وقدمَ علىٰ حسابها وسؤالها ، وجوابها، كلُّ ما جمعَ في هذه الدنيا، لحظةٌ تمرُّ به تجعلُه يتركُ الدنيا وما فيها.

كان هناكَ أحدُ الإخوةِ رحمهم الله جميعًا، وكانَ هناك رجلٌ من أهلِ المالِ، وفيه خيرٌ، ولم يكنْ إذ ذاك في المملكة مستشفيات ولكن، ذهبنا إلىٰ إحدىٰ الدول، وكنا نسكنُ في فندقٍ مطل علىٰ سوقٍ، وكان هناك عاملٌ يدفعُ عربةً بيده، وبيده الأخرىٰ خبزةٌ يأكلها، قالَ: فالتفتَ إليَّ -رحمهم الله جميعًا-، وقالَ: يا فلان أتمنىٰ أنِّي مثل هذا العامل ولا أملكُ من الدنيا شيئًا، وأين الأموالُ، وأين الدنيا كلها انتهتْ يا إخوة، أحس بالمرض، دنوَّ الأجلِ انتهتْ الدنيا، لكنَّ السعيدَ بماله يا إخوان، من يوفقُ لإنفاقه في طرقِ الخيرِ، هذا الذي يغتبطُ يا إخوان بماله حيًّا أو ميتًا، فنِعمَ هو صاحبُ المؤمنِ، المالُ، ما أطعمَ منه اليتيمَ والمسكينَ وابنَ السبيلِ، نعم.

{أحسنَ الله إليكم.

القاعدةُ الخامسةُ والأربعون، حثَّ الباري في كتابه علىٰ الصلاحِ، والإصلاحِ}.

نعم، حثَ الباري في كتابِه -عَزَّ وَجَلَّ- علىٰ الصلاحِ والإصلاحِ، ما الفرقُ بين الإصلاحِ، والصلاحِ، الصلاحُ، صلاحُ الإنسانِ بنفسِه، بأنْ تكونَ أموره مستقيمةً، وأحوالُه معتدلةً سائرًا علىٰ الخيرِ، هل يكفي هذا؟، لا ينبغي للإنسانِ أنْ يكونَ صالحًا مُصلحًا، وأنْ يسعىٰ إلىٰ الإصلاحِ ما أمكنَ، وهو السعي في الأسبابِ الممكنةِ المتاحةِ التي يستطيعُها، قالَ -عَزَّ وَجَلَّ- عن شعيبٍ عليه السلام، وهذه آيةٌ أودُ أنْ تقفوا عندها يا إخواني، كثيرًا

وتضعوها في أذهانِكم، قالَ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾[هود:٨٨]، يريدُ الإصلاحَ، نبيٌّ ومن مثله في نيته ومقصدِه وسعيه للإصلاحِ؟ ولكن هل التفتَ إلىٰ إرادتِه واعتمدَ عليها، لا، لماذا؟ قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود٧٧، ٨٨]، ليس التوفيقُ بمجردِ الإرادةِ، الإرادةُ سببٌ لا شكَّ، إرادةُ الإصلاحِ، والسعي في أسبابِ التوفيقِ عظيمةٌ، لكنَّ أعظمَ منها توفيقُ اللهِ سبحانه وتعالىٰ للعبدِ، ولهذا ينبغي للإنسانِ دائمًا أنْ يسألَ ربَّه التوفيقَ، وفي الحديثِ المخرَّجِ في صحيحِ مسلمٍ قالَ النبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعلي بن أبي طالب، وهو من العشرةِ المبشرين بالجنةِ، قالَ: «قل: اللهم اهدني وسددني»، وتذكَّرْ بالهدىٰ، هدايتك الطريقَ، وبالسدادِ سدادك القولَ، والمقصودُ أنْ الإنسانَ يسعىٰ للإصلاحِ، سواء كان الإصلاحُ علىٰ مستوىٰ الإفرادِ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء:١٢٨]، أو كانَ علىٰ مستوىٰ الأسرة، أو كانَ بين أهل البغي والعدلِ، ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا﴾[الحجرات:٩]، وقالَ: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء:١١٤]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[هود:١١٧]، ما يكفي الصلاحَ، قال: الزينب، وقد قال النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ويلٌ للعربِ من أمرٍ قد اقتربَ فُتحَ اليومَ من ردمِ يأجوج وماجوج هكذا، فقالت: أنهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا عمَّ الخبثُ»، وأمرُ الإصلاحِ يا إخوان من يسَّره اللهُ عليه فهو يسيرٌ، إذا رأيتَ تقصيرًا من أخيك في صلاةٍ، في عبادةٍ، في كذا، فادعوه إلىٰ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ولست معنيًّا بهدايةِ قلبه، بعضُ الناسِ يتصورُ أنني قلتُ له مرةً مرتين ثلاثًا، لم يطعني، لا يا أخي لا تغضبْ لنفسِك، ادعه وحاولْ فإنْ يسَّرَ اللهُ هدايته علىٰ يدِك، فذاك فضلٌ من الله عليك

وعليه، ولله الحمدُ أديتَ ما عليك، وأبرأتَ ذمَّتك، فإنْ حصلَ، ولعلهم يتقون فهو المطلوبُ الكبيرُ، بل الأكبرُ، وإنْ لم يحصلْ حصلَ الأولُ، نعم.

{أحسنَ اللهُ إليكم.

{القاعدةُ السادسةُ والأربعون: ما أمرَ اللهُ في كتابه إمَّا أنْ يوجه إلىٰ منْ لا يدخلُ فيه، فهذا أمرٌ له بالدخولِ فيه، وإمَّا أنْ يوجه لمن دخلَ فيه فهذا أمره به ليصححَ ما وجدَ منه، ويسعىٰ في تكميلِ ما لم يوجد منه}.

إذا أمرَه سبحانه وتعالىٰ بالدخولِ في هذا الدينِ، والدخولُ في الإيمانِ إمَّا أنْ يوجه إلىٰ منْ لم يدخلْ فيه كحالِ الكافرِ قالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [النساء:٤٧]، هنا الخطابُ لأناسٍ غيرِ مؤمنين، فما المقصودُ هنا؟ المقصودُ الدخولُ في الإيمانِ، لكن إنْ كانَ الأمرُ للمؤمنين، وهذا كثيرٌ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[النساء:١٣٦]، أو ليسوا مؤمنين؟ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة:٤٣]، ألستَ تصلي وتزكي؟ بلىٰ، إذًا لماذا الأوامرُ لمن يؤديها، والنواهي لمن هم منتهون عنها، بالنسبة للأوامرِ إذا وُجِّهتْ لمن يؤديها فالمرادُ بها كما يقولُ الشيخ أمران، التكميلُ، والتصحيحُ؛ أي تصحيحَ الإيمانِ إنْ كانَ فيه خللٌ، وتكميله إن كانَ فيه ماذا؟ إن كانَ فيه نقصٌ، وبهذا يقول الشيخ: (يتبين لنا قول اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- اهدنا الصراطَ المستقيمَ، يأتي شخصٌ يقولُ: اهدنا الصراطَ المستقيمَ، أو ليس مهتديًا؟ تقولُ: الحمدُ للهِ بلىٰ أنت مهتدٍ، لكن إرادةَ التكميلِ، تكميلُ ما عندك من النواقصِ، أليس عندك نواقصُ؟ يقولُ: بلىٰ واللهِ، عندي نواقصُ كثيرةٌ.

وأيضًا تصحيحُ ما حصلَ من خللٍ بالنسبةِ لك، أيضًا الثباتُ الزيادةُ بالنسبة لك، الصراطُ المستقيمُ يا إخوان، شعبه كثيرةٌ، فمن يقولُ إنَّه أحاطَ بهذه الشعبِ، وفي الحديثِ،

«الإيمان بضعٌ وسبعون، أو ستون شعبةً»، فحينما يقولُ الإنسانُ اهدنا الصراطَ المستقيمَ، اهدنا إلىٰ هذا الصراطِ بكل فروعه، وشعبه، حتىٰ أكمله، واهدني إلىٰ تصحيحه، واهدني إلىٰ الثباتِ عليه والمداومةِ عليه، وما أشبه ذلك، نعم.

{أحسنَ اللهُ إليكم.

القاعدةُ السابعةُ والأربعون، إذا كانِ سياقُ الآياتِ في أمورٍ خاصةٍ وأرادَ اللهُ أنْ يحكمَ عليها، وذاك الحكمُ لا يختص بها بل يشملها، ويشملُ غيرَها جاءَ اللهُ بالحكمِ العام}.

هذه قاعدةٌ جليلةٌ ولها في القرآنِ يا إخوان أمثلةٌ عديدةٌ، وإذا كان السياقُ في أمورٍ خاصةٍ، وأرادَ أنْ يحكمَ اللهُ عليها بحكمٍ عام يشملها ويشملُ غيرَها، يأتي بلفظٍ يدلُ علىٰ العمومِ، وبالمثالِ يتضحُ المقالُ يا إخوان، قالَ تعالىٰ عن المنافقين، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۞ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥،١٤٦].

طيب لو أرادَ شخصٌ أنْ يبينَ معناها فقالَ: فسوفَ يؤتيهم الله أجرًا عظيمًا، هل يستقيمُ الكلامُ أم لا؟ يستقيمُ، لكن ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- عدلَ عن الضميرِ إلىٰ الاسمِ الظاهرِ، وهذه مسألةٌ معروفةٌ يا إخوان في علومِ القرآنِ، وهي إقامةُ الظاهرِ مقامَ المضمرِ، إقامةُ الظاهرِ في سياقٍ لو وجدَ الضميرُ فلربما أدىٰ شيئًا من المعنىٰ، فيأتي الظاهرُ ويقومُ مقامُه، الآيةُ التي بعدها يا إخوان، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[النساء: ١٥٠- ١٥١]، لم يقلْ وأعتدنا لهم، لماذا؟ هنا يقيمُ الظاهرُ مقامَ المضمرِ،﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ

قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]، لم يقلْ عليهم، أقيمَ الظاهرُ مقامَ المضمرِ، فلماذا؟ لثلاثِ فوائدَ:

الفائدةُ الأولىٰ: التعميمُ، حتىٰ يشملهم ويشملَ غيرَهم، كما ذكرَ الشيخُ هنا، ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٦]، لا يؤتي المنافقين التائبين فقط، لا، بل المؤمنين كلهم.

الثاني: التعليلُ: ما معنىٰ التعليلِ؟ أي أنه تعالىٰ إنما أعطاهم هذا الأجرَ العظيمَ بسببِ إيمانِهم، وأولئك حكمَ عليهم بالكفرِ العظيمِ، بسببِ كفرِهم.

الثالثُ: الوصفُ، والحكمُ عليهم بهذا الحكمِ، أولئك حُكمَ لهم بالإيمانِ؛ لأنهم تابوا، وهؤلاء حُكمَ عليهم بالكفرِ لتماديهم فيه، وكفرِهم باللهِ ورسولِهِ وكتابِهِ، واضحةٌ يا إخوان، نعم.

{أحسنَ اللهُ إليكم.. القاعدةُ الثامنةُ والأربعون: متىٰ علَّقَ اللهُ علمَه بالأمورِ بعد وجودها كانَ المرادُ بذلك العلم الذي يترتبُ عليه الجزاءُ}.

نعم، علمُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ بالأمورِ قد يكونُ قبل وجودِها، يبينُ ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- إنَّ اللهَ عنده علمُ الساعةِ، قبل وجودِ الساعةِ عنده علمُ وجودها، أخبرنا أنَّه يعلمه، وقد يذكرُ علمُه بالأمورِ بعد وجودِها، وهذا يتساءلُ عند الإنسانِ، معلومٌ أنَّ اللهَ علمَ ما كانَ وما يكونُ وما لم يكنْ لو كانَ كيف يكونُ، فكيفَ يكونُ هنا في بعضِ الآياتِ مثلًا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ [البقرة:١٤٣]، وهي بيتُ المقدسِ، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ [البقرة:١٤٣]، أو ليسَ اللهُ يعلمُ من يتبعُ الرسولَ قبلَ تحويلِ القبلةِ؟ بلىٰ، إذًا لماذا علَّقَ العلمَ علىٰ هذا الأمرِ بعد وجودِه؟ المرادُ بالعلمِ هنا علمُ المجازاةِ، إلا لنعلمَ من يتبعُ الرسولَ

فنجازيهم علىٰ ذلك الاتباعِ أوفرَ الجزاءِ، وقالَ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، في غزوةِ أحدٍ،﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠]، ليعلمَ اللهُ الذين آمنوا في هذه الغزوةِ ظهرَ النفاقُ، وبانَ واتضحَ، فقوله: ليعلمَ الذين آمنوا يعني فنجازيهم علىٰ صبرِهم وإيمانِهم وجهادِهم، والآياتُ في هذا كثيرةٌ يا إخوان، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت:١١]، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ [البقرة:١٤٣]، كما ذُكِرَ، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ [الحديد:٢٥]، فالمقصودُ أنَّ العلمَ هنا معناه علمُ المجازاةِ، كثيرٌ من المفسرين يقولُ: علمُ ظهورٍ، بمعنىٰ أنَّ الأمرَ ظهرَ، وليسَ ظهورًا للهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فاللهُ تعالىٰ يعلمُ الأمرَ ظاهره وباطنه قبل وقوعِه، ولكن ظهورٌ يعلمه ويراه كلُّ أحدٍ، نعم.

{أحسن الله إليكم.. القاعدةُ التاسعةُ والأربعون، إذا منعَ اللهُ عبادَه المؤمنين شيئًا تتعلقُ به إرادتُهم فتحَ لهم بابًا أنفعَ لهم منه وأسهلَ وأولىٰ}.

نعم قد يمنعُ اللهُ الناسَ من شيءٍ، ولكن لا يُغلقُ البابَ يا إخوان، وهذا عينُ الحكمةِ من اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- يفتحُ لهم أمورًا أعظمَ وأنفعَ، وتأملوا الآيةَ التي في الذهنِ، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:١٠٦]، فلما نُسختْ الآيةُ، ما ننسخُ من آيةٍ أو ننسها بحيث ينساها النبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أتي بما هو خيرٌ، أو بما هو مثلُها، ونظائرُ هذا في القرآنِ كثيرٌ، كما في قولِه -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٢]، تأملوا يا إخوان كتابَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ما أحلىٰ التأملَ يا إخوان، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:٣٢]، نهاهم عن التمني، والتمني هنا إنْ أُريدَ به الحسدُ فهو حرامٌ عياذًا باللهِ، كونه يتمني ما فضَّلَ

اللهُ عليه غيره فيأتي إليه ويسلبُ منه، وإمَّا أن يتمنىٰ أنْ يكونَ مثلهم، فهذه غبطةٌ، والغبطةُ في أمورِ الدنيا يعني أمرُها سهلٌ، لكن ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- أرشدَنا إلىٰ ما هو أحسنُ، وهو اكتسبوا، اعملوا، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ﴾ [النساء:٣٢]، لا تتمن، وتقصرْ غايتك وجهدَك علىٰ مجردِ الأماني، وأنت جالسٌ، ولكن اعملْ واذهبْ ونلْ واكتسبْ، فستنالُ ما نالَ غيرُك وأكثر، ثم أرشدَ إلىٰ ما هو أفضلُ من فعلِ السببِ، وهو، ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:٣٢]، فإذا رأيتَ أخاك فاقك بنعمةٍ فقلْ أسألُ اللهَ من فضلِه، ستقولُ يا ليتَ، وليتَ، وليتَ، إلا إذا كان عملًا صالحًا، يتمنىٰ الإنسانُ أنْ يعملَ مثلهم، كما أنَّه يتمنىٰ أنْ يفيقهم في طريقِ الخيرِ، وإلا فالأصلُ أنَّ الإنسانَ يعدلُ عن التمني، إلىٰ فعلِ الأسبابِ، وإلىٰ سؤالِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ من فضله، أيضًا لما منعَ موسىٰ عليه السلام من طلبه الذي طلبَه، لما كلَّمه، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، موسىٰ في ماذا طمعَ يا إخوان؟ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وأنا أولُ المؤمنين ما طلبت هذا عن شكٍّ ولكن طلبته عن شوقٍ، فقالَ اللهُ له: أعطاه ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- ماذا؟ ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، لما منعه من الرؤيا فتحَ له مجالًا آخرَ وذكَّره، بهذه النعمةِ أيضًا، ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ [الأعراف:١٤٤]، يعني واكتف به، لا تزدْ،﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤]، نعم، تفضل.

ومنه قولُه -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾[النساء:١٣٠]، فلما حصلتْ الفرقةُ بين الزوجين وانتهىٰ الأمرُ إلىٰ الفرقةِ فاللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- غني حميدٌ، يُغني الرجلَ، عنها، ويغنيها عنه هي أيضًا، المقصودُ أنَّه إذا أُغلقَ بابٌ فُتحَتْ أبوابٌ أخر، وهذه يا إخوان عينُ الحكمةِ، ترىٰ حتىٰ في تعاملِ الإنسانِ مع أهله، الإنسانُ إذا منعَ شيئًا لا يمنعه

وخلاص، إذا أغلقتْ الباب وتركتْ الأمر يُكسر البابُ، لكن إذا فتحتْ مجالاتٍ أخر، وطرقًا أخر يمكنُ الإنسان، الإنسانُ مثلًا يريدُ أنْ يشغل أولادَه عن التشاغلِ بهذه الملهياتِ، وهذه المصائبِ ويخشىٰ عليهم، لا يقولُ هذا لا يصلحُ، كذا، وكذا، وخلاص، وانتهىٰ الأمرُ، يحرصُ أن يأتيَ ببدائلَ، فيها أشياءُ تريحهم، وتشغلهم بعض الشيءِ واللهُ المستعانُ، نعم.

{أحسنَ اللهُ إليكم.. القاعدةُ الخمسون آيةُ الرسولِ هي التي يبديها الباري ويبتديها، وأمَّا ما يبديه المكذبون له، واقترحوه فليستْ آياتٍ، وإنما هي تعنتاتٌ وتعجيزاتٌ}.

الآياتُ التي يأتي بها الرسلُ، ما بعثَ اللهُ نبيًّا إلا أظهرَ علىٰ يديه من الآياتِ ما به آمنَ البشرُ كما روي عنه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، كل رسولٍ يأتي بآيةٍ، وهذه الآياتُ كافيةٌ، وفيها من الإقناعِ ما يقنعُ من له رغبةٌ في الحق، سواء كانتْ آياتٍ معاينةً، أو كانتْ براهين وأدلةً، وأشياء تقنعُ العقولَ، وأمَّا الآياتُ التي يطلبها المشركون، وهي ما يسميها العلماء بآياتِ الاقتراحِ، فالشيخُ يقولُ: إنها ليستْ آياتٍ ليس مقصودُه أنها ليست آياتٍ لو طلبوها وجيء بها، لا، هي آية، لكن لا يتوقفُ صدقُ الرسلِ علىٰ هذه الآياتِ التي يطلبونها أبدًا، وما جاءَ به الرسلُ من الحججِ والبيناتِ، ومن الآياتِ ، كافٍ لهم، إنْ كانوا يطلبون الحقَ، وإذا تأملتم القرآنَ وجدتم الكثيرَ من ما يطلبُ به المشركون، وقصدهم بذلك العجزُ، إظهارُ عجزهم، والتعجيزُ، ومحاولةُ التمويهِ علىٰ الجهالِ منهم، محمدٌ لما قالَ كذا، وكذا، وزعمَ كذا، وكذا، يأتينا بكذا، وكذا، قالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]، إلىٰ أنْ قالوا: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ

رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الفرقان:٢١]، هذا الكبرُ، ولن يؤمنوا حتىٰ لو رأوا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-،كما قال بنو إسرائيلَ، أرنا اللهَ جهرةً، تشابهت القلوب فتشابهت الأعمالُ، وإنْ كان من طلبَ من موسىٰ كانوا مسلمين، لكن الطلبَ واحدٌ، فالمقصودُ أنَّ هذه الآياتِ التي يطلبونها، لو أنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- مكنهم منها، لم يكنْ إيمانهم فيها إيمانًا صحيحًا، بل إيمانُ اغترارٍ، وإيمانُ الاغترارِ لا ينفعُ صاحبه، وإنما الإيمانُ الذي ينفعُ، الإيمانُ بالغيبِ، ثمَّ إنَّه -عَزَّ وَجَلَّ- إذا طلبوا الآياتِ قد لا يمكنهم منها لأنَّ سنته -عَزَّ وَجَلَّ- في المشركين إنْ طلبوا الآياتِ، ولم يؤمنوا أنَّه تعالىٰ يعاجلهم بالعقوبةِ كما قالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقالَ لحواريِّ عيسىٰ وقد طلبوا المائدةَ: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥]، وقالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأعراف:١٤٦]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[يونس: ٩٦، ٩٧]، وإذا رأوا العذابَ الأليمَ ما نفعهم الإيمانُ.

وقال أسلافهم في الكفرِ من قومِ فرعونَ: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٣٢]، ثم إنَّ طلبهم الآياتِ تعدٍّ منهم، وتخطٍّ، وتعدٍّ علىٰ حدودِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فإنَّه الحكمُ سبحانه وتعالىٰ، وبحمده، وهو الذي يأتي بالبراهين الدالةِ علىٰ صدقِ رسله، أمَّا أن يأتوا هم يقولون: ائتنا ببرهان، ائتنا بكذا، افعلْ كذا، اجعلْ الصفا ذهبًا، ثم يظلون يطلبون أشياء، إنْ جاءت وإلا فلن نؤمنَ، وقصدهم بذلك تبريرٌ، ما هم عليه من الكفرِ الذي ألفته قلوبهم، وتربوا عليه وتعودوه فلا يريدون أنْ يتركوه، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَوْ

﴿أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[الأنعام:١١١]، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ(١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]، لو فتحَ لهم بابًا إلىٰ السماء وصعدوا ورأوا كل شيءٍ لقالوا سُكِّرت أبصارنا، بل نحن قومٌ مسحورون.

ولدينا وللهِ الحمدُ بينة هي أعظم المصطفىٰ، وآيةٌ هي أعظمُ آياته صلوات ربي وسلامه عليه، إذ جميع الرسلِ لما ذهبوا، ذهبت آياتهم عليهم الصلاة والسلام، وأمَّا محمدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فبعد أنْ ذهبَ إلىٰ الرفيقِ الأعلىٰ بقيتْ هذه الآيةُ الكبرىٰ، إلىٰ أنْ يأتي أمرُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ما هي؟

{القرآن.}

وهي والله، كافيةٌ منذ نزلتْ علىٰ المصطفىٰ، وإلىٰ أنْ يأتي أمرُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[العنكبوت: ٥٠، ٥١]، فهي آيةٌ عظيمةٌ، وآيةٌ كافيةٌ لمن كان طالبًا للحق، راغبًا فيه، نعم.

{أحسنَ اللهُ إليكم..

القاعدةُ الحاديةُ والخمسون، كل ما وردَ في القرآنِ الأمرُ بالدعاء، والنهي عن دعاءِ غير اللهِ، والثناءِ علىٰ الداعين، تناولَ دعاءَ المسألةِ ودعاءَ العبادةِ} .

هذه يا إخوان قاعدةٌ جليلةٌ جميلةٌ كبيرةٌ، يحسنُ العنايةُ بها، تأملها والنظرُ فيها، كلُّ ما وردَ في القرآنِ من الأمرِ بالدعاءِ، أو النهي عن الدعاءِ، أو الثناءِ علىٰ الداعين فالمرادُ به أمران، دعاءُ العبادةِ، ودعاءُ الثناءِ، إذًا كم أنواع الدعاءِ؟ دعاءُ عبادةٍ ودعاءُ مسألةٍ، دعاءُ

المسألةِ ما هو؟ معروفٌ إنْ شاءَ اللهُ، دعاءُ المسألةِ سؤالُ الإنسانِ ربه، ربِ اغفرْ لي، ربِ ارحمني، وهذا دعاءٌ بلسانِ الحالِ أو المقالِ؟ المقالُ، دعاءُ العبادةِ ما هو؟ جميعُ العباداتِ، تُصلي تصومُ تُزكي تحجُ، هي دعاءٌ في الحقيقةِ، ولكنها دعاءٌ بلسانِ الحالِ، هل رأيتَ إنسانًا يتصدقُ فقلتَ: هذا الرجلُ دعا ربه، يقولُ: كيف أنا لم أسمعْ الرجلَ لم يتكلمْ بكلمةٍ، لكن لسانَ حاله عندما تصدقَ بهذا المالِ قال: اللهم اغفرْ لي، اللهم ارحمني، اللهم اخلفْ عليَّ خيرًا، والنوعان أحدهما، أو كلٌّ منهما يدلُ علىٰ الآخرِ، فدعاءُ العبادةِ يتضمنُ دعاءَ المسألةِ، ودعاءُ المسألةِ يستلزمُ دعاءَ العبادةِ، إذًا كلُّ دعاءٍ في القرآنِ يشملُ النوعين، نأخذُ الأمرَ، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦]، ادعوه، أي اسألوه، وادعوه، اعبدوه، ادعوه، أي اسألوه -عَزَّ وَجَلَّ- طامعين في رحمته خائفين من عقوبته، وادعوه بمعنىٰ اعبدوه، ما غايةُ العابدِ من الدعاءِ يا إخواني سواء كان عابدًا أو سائلًا ما غايته؟ أمران خوفًا وطمعًا، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، يدعونه يسألونه، يدعونه، يعبدونه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة:١٨٦]، دعوةُ السائلِ والعابدِ أيضًا، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف:٥]، لا يستجيبُ دعاءه، ولا يستجيبُ عبادته؛ ولهذا قال بعدها،﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [الأحقاف:٦]، دلَّ علىٰ أنَّ الدعاءَ المتقدم دعاءَ عبادةٍ، ويشملُ دعاءَ مسألةٍ، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، سلوني واعبدوني، وقالَ -عَزَّ وَجَلَّ- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا﴾ [الأنبياء:٩٠]، بعد أنْ ذكرَ جملةً من الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ في سورةِ الأنبياءِ، قالَ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]، يدعوننا، أي يسألونني، راغبين راهبين، ويدعون يعبدون ربهم، راغبين راهبين خائفين

طامعين، وقالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، تكلَّمَ الشيخُ علىٰ هذا كلامًا نفيسًا ومبثوثًا في تفسيره رحمه اللهُ، فشملَ الدعاءَ في الآيةِ، فادعوه بها دعاءَ المسألةِ ودعاءَ العبادةِ، يدعو اللهَ بأسمائه الحسنىٰ دعاءَ مسألةٍ، ودعاءَ عبادةٍ، دعاءَ مسألةٍ، كيفَ يدعو اللهَ بدعاءِ مسألةٍ؟

{يا رزاق ارزقني.}

يا رزاقُ ارزقني، يا غفور ارحمني، يا علَّامَ الغيوبِ علمني، يا رحيمَ ارحمني، اغفرْ لي وارحمني إنَّك أنت الغفورُ الرحيمُ، ارزقني إنَّك أنت الرزاقُ، إلىٰ آخرِه، يتوسلُ إلىٰ اللهِ بأسمائه في دعائه، هذا دعاءُ المسألةِ.

دعاءُ العبادةِ، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، ادعوه يعني اعبدوه بها، ما معنىٰ دعاءُ العبادةِ بالأسماءِ الحسنىٰ؟ يعني أنه يتعبدُ اللهَ بما تقتضيه هذه الأسماءُ، وهذا أمرٌ عظيمٌ جليلٌ كبيرٌ يا إخوان، يقولُ الشيخُ: بحيث يفهمُ الاسم، يستحضرُ معناه، يملأُ قلبه من هذا المعنىٰ، يفهمُ الاسم يستحضرُ معناه، يملأُ قلبه من هذا المعنىٰ، كلمةُ الشيخ تعطيكم شيئًا من المعنىٰ،ولذلك الأسماءُ الدالةُ علىٰ القوةِ والعظمةِ والجبروت، تملأُ القلبُ ماذا؟ تعظيمًا وإجلالًا للهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، والأسماءُ الدالةُ علىٰ المغفرةِ والرحمةِ، وما أشبه ذلك، تملأُ القلبَ طمعًا ورجاءً وحسنَ ظنٍ باللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، والأسماءُ الدالةُ علىٰ المودةِ والمحبةِ، تملأُ القلبَ أيضًا محبةً للهِ سبحانه وتعالىٰ وتذللًا وخضوعًا.

والأسماءُ الدالةُ علىٰ العلمِ والخبرةِ كالعليمِ والخبيرِ واللطيفِ، والسميعِ والبصيرِ، وما أشبه ذلك، تملأُ القلبَ مراقبةً للهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وهذه مسألةٌ ينبغي أن نربي أولادنا عليها في هذا الزمانِ، التربيةُ ما عادت سهلةً يا إخوان، لكن ربوا أولادكم وإخوانكم علىٰ مراقبةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فالسنواتُ قريبة؛ إذا حضرَ الأولادُ في البيتِ بعد العشاءِ ارتاحَ الأبُ، ونامَ

قريرَ العينِ، إذا تأخروا ظل قلقًا، الآنَ في البيتِ ويلف العالمَ كله ولا تدري أين يذهبُ، ومن يحادثُ، الأمرُ كبيرٌ واللهُ أكبرُ وأعظمُ وأجل، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]، الشبابُ يحتاجون إلىٰ الدعاءِ يا إخوان والتربيةِ، ومن التربيةِ تربيتهم علىٰ مراقبةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ، أنَّ اللهَ يعلمُ بمكانِك ويسمعُ كلامَك، يعلمُ سرَّك وإعلانَك، إذا ما خلوتْ الدهرَ يومًا فلا تقلْ خلوتُ، ولكن قلْ عليَّ رقيبٌ، ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً، ولا أن ما يخفىٰ عليه يغيبُ، وإذا ما خلوتْ بظلمةٍ في ريبةٍ والنفسُ داعيةٌ إلىٰ العصيانِ فاستحي من نظرِ الإلِه، وقلْ لها إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يراني، لقمان في وصاياه الجليلةِ الجميلةِ لولده ماذا قالَ يا إخوان؟ ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ [لقمان:١٦]، أي في جوفِ صخرةٍ، ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦]، ما مراده بهذا الكلامِ يا إخوان. تربيته علىٰ أي شيءٍ؟ علىٰ المراقبةِ مراقبة اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فالأسماءُ الحسنىٰ عظيمةٌ يا إخوان، معرفةُ اللهِ بأسمائه من وسائلِ عبادته، ولهذا كان توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ كتوحيدِ الربوبيةِ، كان وسيلةً إلىٰ توحيدِ الألوهيةِ، فمن عرفَ اللهَ بأسمائه وصفاته عبده يا إخوان، وخشيه وعظَّمه، وأحبَّه وراقبه، ولكن بأنْ يتعبده بما تقتضيه هذه الأسماءُ، أشارَ الشيخُ إلىٰ كلامٍ جميلٍ في آخره، نعم.

{أحسنَ اللهُ إليكم.

قالَ رحمه اللهُ: وهذه الأحوالُ التي تتصلُ بها القلوبُ، هي أكملُ الأحوالِ، وأجلُّ وصفٍ يتصفُ به القلبُ ....}.

{قالَ رحمه اللهُ: وهذه الأحوالُ التي تتصلُ بها القلوبُ، هي أكملُ الأحوالِ، وأجلُّ وصفٍ يتصفُ به القلبُ ....}.

الموضوعُ عظيمٌ يا إخوان، بعد بسم اللهِ، والحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسول اللهِ، هذه الأحوالُ تثمر أعمالَ القلوبِ، أعمالُ القلوبِ عظيمةٌ يا إخوان، بها يتفاوت الناسُ تفاوتًا عظيمًا، ثم تأتي أعمال الأبدان تابعةً لها، فعلىٰ الإنسان أن يمرنَ قلبه ويمرنَ نفسه علىٰ معرفة ربه -سبحانه وتعالىٰ- بأسمائِه وصفاتِه، فإن هذا العلمَ عظيمٌ، وكلما زاد الإنسان معرفةً بأسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- وصفاته ازداد معرفةً بربه، كلما زاد معرفةً بربه ازداد يقينه وإيمانه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ما قدروه حقَّ قدرِه، ولو آمنوا وعلموا بذلك لعرفوا قدرَه سبحانه وبحمده، ولهذا قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن لله تعالىٰ تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنةَ»، ما معنىٰ أحصاها؟ استحضر ألفاظَها، فقه معانيها.. هل يكفي هذا؟ لا، لا ما يكفي أبدًا، الثالثُ وهو الكبيرُ الذي تحدث عنه الشيخُ، تعبَّد اللهَ بمقتضاها، مرةً ثانيةً أحصاها؛ يعني استحضر الألفاظَ، يحفظها، كثيرٌ من الناس يحفظون تسعةً وتسعين اسمًا، يفهم معناها أيضًا، ما معنىٰ هذا الاسم؟ ثم يتعبدُ الله بمقتضاها، يتعبدُ الله بما يقتضيه ذلك الاسمُ.

فيعلمُ أن الله غفورٌ رحيمٌ، فيتعرضُ لأسبابِ المغفرةِ والرحمةِ، يعلم أن الله عليمٌ حكيمٌ، لطيفٌ خبيرٌ، فيراقب الله -عَزَّ وَجَلَّ- في السِّرِّ والعلنِ، يعلم أن الله حكيمٌ فيرىٰ حكمته سبحانه وبحمده في كلِّ ما يأمر به وينهىٰ، وفي كلِّ ما يصدر عنه من قولٍ أو فعلٍ، وأذكر يا إخوان أني زرت مريضًا كبيرَ السن عاميًّا- رحمه الله- لا يقرأ حتىٰ القرآن، وكان قد مرض وتفاقم به المرضُ إلىٰ ألا يتحرك منه شيءٌ كما قال رحمه الله، وأسأله عن حاله فيقول: أنا طيبٌ، أنا بخيرٍ، أنا آكلُ وأشربُ، وإن كنت لا أستطيع أن أحرك حتىٰ رأسي، ولكن انظروا يا إخوان، علماؤنا وأئمة الدعوة ربوا الناسَ علىٰ الثقةِ بالله والتوحيد حتىٰ صارت القلوب ما شاء الله مملوءةً بالثقةِ بالله واليقينِ، العوامُّ يا إخوان العوامُّ، قال: لا

أحركُ رأسي، لكن الحكيمَ قال لي بالعاميةِ: اقعد فقعدت، من هو الحكيم؟ ربُّ العالمين، طيب ولو قال لي: لكن الله قال لي: اقعد فقعدت، يعني حكم عليَّ، الأمر هذا يقوله كلُّ أحدٍ، لكن هذا العاميَّ لماذا اختار اسمَ الحكيمِ؟ اختياره اسمَ الحكيمِ يرىٰ أن لله حكمةً فيما قضىٰ عليه، يقول: هذا كان منشرحَ الصدر الله يرحمه، ويدعو للضيافة ويلزِّم وهو لا يحركُ رأسه.

هذه من آثار معرفة الله بأسمائه، حتىٰ طمأنينةُ القلبِ، وراحةُ النفسِ، يرىٰ الإنسان أن لله حكمةً في كلِّ شأنه، يدبره ويقضيه سبحانه فلا اعتراض عنده علىٰ قدر اللهِ، ما أسهل ما يقوله أحدهم لماذا كان كذا ولأيِّ شيءٍ كان كذا وكذا معترضًا لا سائلًا، هذا لضعف إيمانهم بالله ومعرفتهم به سبحانه وبحمده، المقصود أن الإنسان يتعرف إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العُلا، فإن هذا يورثه اليقينَ والإيمانَ، ما أشار إليه الشيخ رحمه الله تعظيمًا لله، ورجاءً لموعودِه، ومحبةً له، ومراقبةً له، وإيمانًا به، وثقةً وحسنَ ظنِّ به سبحانه وبحمده، نعم.

(القاعدة الثانية والخمسون: إذا وضح الحقُّ وبان لم يبق للمعارضةِ العلميةِ والعمليةِ محلٌّ).

القاعدة الأخيرة اليوم إن شاء الله، إذا اتضح الحقُّ وبان لم يبق للمعارضة العلمية محلٌّ، اتضح الحقُّ، فلأي شيءٍ تجادل؟ والحقُّ قد بان، وإنما يجادلُ من يجادلُ لخفاء الحقِّ عليه، يوجد التباسٌ وشبهاتٌ لديه وما أشبه ذلك، لكن إذا وضح الحقُّ وصار كالشمسِ، فمن يجادلُ في الشَّمسِ هل تسمعُ كلامَه.

وليس يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ *** إذا احتاجَ النهارُ إلىٰ دليلِ

يأتي شخصٌ ويقولُ: أعطني دليلًا أننا ليلًا، هل تجادله؟ لا تجادله، هذا لا يجَادلُ، هذا في ذهنه شيءٌ، ولكن قد ينكر الشيءَ -لا قوة إلا بالله- الواضحَ البين؛ لسقمٍ فيه وخللٍ.

قَد تنكِر الْعَيْنُ لَونَ الشَّمْسِ مِنْ رمَدٍ *** وَيُنْكِر الْفَمُ طَعْمَ الزادِ مِنْ سَقَمِ

إنسانٌ فيه زكامٌ يأكل ولا يذوق الطعام، هذا ما في طعامٍ، أو تكون عينه مرمودةً ويقولُ: اليوم ليس فيه شمسٌ، وهكذا هؤلاء الذين لُبِّس علىٰ قلوبهم، يجادلون عن الباطلِ بالباطلِ، ويعرفون الحقَّ ويأبون أن يقبلوه، حتىٰ قال الله عن اليهودِ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، ما قال ربُّنا: كما يعرفون أنفسهم، أيهما أكثر معرفةً؟ معرفتك بنفسك أو بابنك؟

{بنفسك؟}.

متىٰ عرفت نفسك؟ كم عمرك؟ كم عمر الواحدِ منَّا يوم عرف نفسه؟ تذكر من صغرك من عمر كم؟ أربع سنين، ممكن أربعةٌ، ممكن خمسةٌ، وابنك تعرفه متىٰ؟ مذ ولد، اللحظة التي ولد فيها، إذن: أيهما أكثر معرفةً؛ معرفةَ الابن أم النفسَ؟ الأبناءُ، ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، ومع ذلك تقول صفيةُ: لما جاء أخوها حييٌّ بن أخطب النضريُّ وعمها أخوه من عند رسول الله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: سمعته يقول: أهو هو؟ قال: نعم، قال: هل أنت متبعه؟ قال: لا والله ما أتبعه، هو الذي ذُكر في التوراةِ؟ قال: نعم، قال: هل تتبعه؟ قال: لا، لا أتبعه، يعني مثل هذا كيف يجادلُ؟ هذه قاعدةٌ جميلةٌ نحتاجها في هذا الزمنِ يا إخوان، إذا اتضح الحقُّ وبان لا مكان لأي جدالٍ أو أي معارضةٍ، قال تعالىٰ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]، بعض أهلِ العلمِ يقولون: هذه الآيةُ منسوخةٌ بآيةِ السيفِ، لا، الصحيحُ أنها محكمةٌ، ولأنه إذ بان الحق لا تُكره أحدًا عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، قيل: من شاء

فليكفر هذا أمرُ تهديدٍ، بل الآية علىٰ ظاهرها، وأنه إذ بان الحقُّ من يُرِد الإيمانَ يؤمنُ، ومن يُرِد الكفرَ يكفرُ، قد قامت عليه الحجةُ.

وقد ورد في القرآن من الأدلةِ ما يدلُّ علىٰ هذه القاعدةِ، ويحتاج إليها، كما قلت لكم، قال تعالىٰ: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورىٰ:١٥]، هذه آيةٌ فيها عشر جملٍ، كلُّ جملةٍ منها لها معنىٰ تشبه آيةً عُظمىٰ في كتاب الله اشتملت علىٰ عشرِ جملٍ، ما هي؟ آية الكرسي يا إخوان، لو عدَّدت الجملَ فيها وجدتها عشر جملٍ، ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة، ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ جملة، ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ...﴾ [البقرة:٢٥٥]، إلىٰ آخرها، عدها، وهذه مثلها في العدد، ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورىٰ:١٥]، لا حجةَ: لا خصومةَ، خلاص انتهت الخصومةُ، بان الحقُّ، الله يجمع بيننا وبينكم، ولهذا قال بعدها: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورىٰ:١٦]، بان الحقُّ يأتي الوعيدُ والتهديدُ.

ولهذا لما جاء نصارىٰ نجران إلىٰ النَّبيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخذوا يبحثون عن أشياءَ في القرآن يرونها حُججًا لهم، وأخذوا يجادلون والحقُّ بيِّن وهم يعرفونه، ومحمَّدٌ مذكورٌ في التوراةِ والإنجيلِ، ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، قال الله لنبيِّه: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١]، انتهىٰ الجدالُ وانتهت المحاجةُ تعالوا للمباهلةِ، فلما طلب منهم

المباهلةَ قالوا: انظرنا، ثم جاءوا من الغد وأذعنوا ورفضوا المباهلةَ وأذعنوا لدفع الجزيةِ، وهذا اعترافٌ منهم ببطلان ما هم عليه، وبأن محمَّدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علىٰ الحقِّ.

تأملوا معي بعضَ الآيات خذ مثلًا سورة إذا السماء انشقت، قال تعالىٰ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق:١٦]، ما هو الشفق يا إخوان؟ الحمرة التي تكون في مغيب الشَّمسِ، تستمر إلىٰ دخول وقت العشاءِ، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق:١٧]، ما معنىٰ وسق؟ يعني ما جمع من هوامَّ ودوابَّ، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الانشقاق:١٨] يعني اكتمل وامتلأ نورًا، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩]، حالًا بعد حالٍ، نطفةٌ ثم علقةٌ ثم مضغةٌ ثم ينفخُ فيه الرُّوحُ، ثم يخرج طفلًا فشابًّا فكهلًا فشيخًا إلىٰ آخره، آياتٌ عظيمةٌ، ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق:٢٠]، لا يؤمنون مع وجود هذه الآيات، بل وما هو أعظم من هذه الآياتِ، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق:٢١]، بل يؤمنون حتىٰ بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

ونظير هذه الآياتِ التي ذكرت فيها الآياتُ الكونيةُ والآياتُ الشرعيةُ أول سورة الجاثية، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:١-٤]، يقينٌ وترقٍّ، إيمانٌ ثم بعد ذلك يقينٌ، العلمُ الثابتُ الراسخُ المثمرُ للطمأنينة والعمل، ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية:٥]، هذه الغايةُ، ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الجاثية:٥]، إيمانٌ ثم يقينٌ ثم العقلُ والتعقُّلُ ثم قال بعدها ماذا بعدها يا إخوان؟ ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[الجاثية:٦]، بعد أن ذكر الآياتِ الكونيةَ المشاهدةَ ذكر الآياتِ القرآنيةَ المسموعةَ، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ [الجاثية:٦]، يعني إن

لم يؤمنوا بالله وبالقرآن فبأي شيءٍ يؤمنون؟ وهذا كقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق:٢٠، ٢١].

فهذا يدلُّ علىٰ أن هذا المجادل إذا استمر يجادلُ وهو باطلٌ كما عليه جميع الكفار يا إخوان، وأهل البدعِ مع أهل السُّنَّة، والكل يعرف يا إخوان ضلالَه وزيغَه، ومع ذلك يظلُّ يكابرُ ويعاندُ، فمثل هذا التمادي معه في الجدالِ لا طائلَ تحته، ولا نتيجةَ من وراءه، هكذا منهجُ كتابِ ربِّنا -عَزَّ وَجَلَّ-، وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال:٦]، تبين الحقُّ لا مكان للجدال، انتهىٰ، فالإنسان يجادلُ ما دام الجدالُ يعطي نتيجةً، وما دام الخصمُ لديه خفاءٌ في بعض الأمورِ، وشبهاتٌ في بعض الأمورِ، حتىٰ إذا ظهرت وكشفت واستمر ما هذا الرجل طالب حقٍّ، وإنما مكابرٌ معاندٌ، ولا قوة إلا بالله، ومثل هذا تذكر له نصوصُ الوعيدِ، يخوف بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، إن كان لديه تعظيمٌ لله -عَزَّ وَجَلَّ.

وفق اللهُ الجميعَ للخيرِ، ورزقنا وإياكم العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وارزقنا علمًا ينفعنا، ربِّ زدْنا علمًا، رب زدْنا علمًا، رب زدْنا علمًا، اللهم إنا نعوذُ بك من الكسلِ والعجزِ، ونعوذُ بك من البخلِ والهرمِ والجبنِ، ونعوذُ بك من فتنةِ الدنيا ومن عذابِ القبرِ، اللهم إنا نعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ، وقلبٍ لا يخشعُ، ونفسٍ لا تشبعُ، وقولٍ لا يُسمعُ، ودعوةٍ لا يُستجابُ لها.

اللهم آتِ نفوسَنا تقواها، زكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم إنا نسألك الثباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ علىٰ الرُّشدِ، ونسألك شكرَ نعمتِك، وحسن عبادتِك، ونسأَلُك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، ونسأَلُك من خيرِ ما تعلمُ، ونعوذُ بك من شرِّ ما تعلمُ، ونستغفرُك مما تعلمُ إنَّك أنت علَّام الغيوبِ.

اللهم أعنَّا ولا تُعن علينا، وانصرْنا ولا تنصرْ علينا، واهدنا ويسر الهُدىٰ إلينا، وانصرْنا علىٰ من بغَىٰ علينا، اللهم اجعلْنا لك شاكِرين، لك ذاكِرين، لك أواهين، لك مُخبتِين، إليك مُنيبين، اللهم اقبلْ توبتَنا، وأجبْ دعوتَنا، وثبتْ حُجتَنا، واهدِ قلوبَنا، وسددْ ألسنتَنا، واسلُلْ سَخِيمةَ قلوبِنا.

اللهم أصلحْ لنا ديننا الذي هو عصمةُ أمرِنا، وأصلحْ لنا دنيانَا التي فيها معاشُنا، وأصلحْ لنا آخرتَنا التي إليها معادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا من كلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍّ يا أرحم الراحمين.

اللهم أصلحْ نياتِنا وذرياتِنا، وأصلحْ المسلمين شيبًا وشبابًا، ورجالًا ونساءً يا ذا الجلالِ والإكرامِ، اللهم أمِّنا في أوطانِنا، اللهم أصلحْ أئمتنا وولاةَ أمورِنا، اللهم ارزقْهُم البطانةَ الصالحةَ الناصحةَ يا أرحمَ الراحِمين، وأصلحْ أحوالَ المسلمين في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها يا ذا الجلالِ والإكرامِ، واغفرْ اللهم لنا ولوالدينا وجميعِ المسلمين يا أرحمَ الراحمين، اللهم اجعلْ اجتماعَنا هذا اجتماعًا مرحومًا، وتفرُّقنا من بعده تفرقًا معصومًا، ولا تجعل فينا ولا منا شقيًّا ولا مطرودًا ولا محرومًا، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ وآله وصحبه، جزاكم الله خيرًا يا إخوان، وبارك فيكم، ووفقكم.

السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتِه.

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ لهُ، ومنْ يضللْ فلا هادي لهُ، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا- أمَّا بعدُ:

فنسألُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بأسمائِه الحسنىٰ وصفاتِه العلا أنْ يرزقَنا وإياكم العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ والدعوةَ إليه، وأنْ يثبِّتَنا في سلوكِ هذا الطريقِ، والذي بدايته بدايتكم في الطلبِ، ونهايته إلىٰ الجنةِ نسألُ اللهَ الكريمَ من فضلِه، كما قالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «من سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّلَ اللهُ لهُ به طريقًا إلىٰ الجنةِ» خرَّجَه مسلمٌ في صحيحِه، وإذا طالَ الطريقُ فإنَّه يحتاجُ إلىٰ صبرٍ ومصابرةٍ ومثابرةٍ وتذكرِ الفوائدِ التي يرجعُ بها الإنسانُ إنْ هو صبرَ، وما يفقدُه لو تركَ هذا الطريقَ؛ لأنَّ تركَ الطريقِ قطعٌ لأعظمِ الطرقِ المفضيةِ إلىٰ الجنةِ، فاللهَ اللهَ بالثباتِ عليه والصبرِ، فإنَّ الإنسانَ إذا صبرَ وسألَ اللهَ التوفيقَ واحتسبَ الأجرَ فلعله في نهايةِ المطافِ أنْ ينالَ التوفيقَ والظفرَ.

إخواني كنت في الدرسِ الماضي عرضتُ عدةَ قواعدَ، والقواعدُ كما ذُكرَ في تعريفِها أحكامٌ عامةٌ كليةٌ يقصدُ منها استنباطُ معاني القرآنِ، وترجيحُ بعضِ الأقوالِ لدىٰ الاختلافِ علىٰ بعضٍ، وهذا الكتابُ للشيخِ عبدُ الرحمنِ حفلَ بقواعدَ متنوعةٍ، ففيها قواعدُ في التفسيرِ وهي الأصلُ، وفيها قواعدُ في التوحيدِ والعقيدةِ، وفيها قواعدُ في الأخلاقِ والسلوكِ والأعمالِ، وفيها قواعدُ في التربيةِ والتوجيهِ والدعوةِ والإرشادِ، وقد ذكرَ الشيخُ من القواعدِ التي سوف نمرُّ عليها اليومَ بمشيئةِ اللهِ وإعانته قاعدةً عبارةً عن آيةٍ من كتابِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وكأنَّه يتمثَّلُ هذه الآيةَ في منهجِه في الكتابِ وهي قولُهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، استعرضنا في الدرسِ الماضي جملةً من القواعدِ نسألُ عن بعضِها، حيثُ ذكرَ في بعضها أنَّ ربوبيةَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لخلقه تنقسمُ إلىٰ قسمين.. ما هما يا إخوان؟

ربوبيةٌ عامةٌ، وربوبيةٌ خاصةٌ، عامةٌ لكلِّ الخلقِ حتىٰ الجمادِ، وخاصةٌ بأنبيائِه وأوليائِه، كذلك العبوديةُ أيضًا قسَّمها إلىٰ قسمين: عبوديةٌ عامةٌ لكلِّ الخلقِ حتىٰ الكافرِ والفاجرِ، وعبوديةٌ خاصةٌ لعبادِه المؤمنين، أنبيائه وأتباع الأنبياءِ، وأيضًا ذكرَ في ضمنِ ما ذكرَ أمراضَ القلوبِ -نسألُ اللهَ أنْ يحفظنا وإياكم منها- وقسَّمها إلىٰ قسمين: أمراضُ الشبهاتِ، وأمراضُ الشهواتِ، وجميعُ ما يقالُ من آفاتِ القلوبِ يندرجُ تحتَ هذين المرضين، وبيَّنَ رحمَه اللهُ وجهَ تقسيمِ أمراضِ القلوبِ إلىٰ قسمين، وأنَّ صحةَ القلبِ وسلامته، وهو القلبُ السليمُ أيضًا، ترجعُ إلىٰ أمرين، ما هما؟، العلمُ والإرادةُ، العلمُ النافعُ المفيدُ، العلمُ باللهِ ومعرفتِه سبحانَهُ وبحمدِهِ، والعلمُ الذي يشملُ نوعَي العلمِ: العلمُ بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، والعلمُ بشرعِه، والعلمُ به معرفتُهُ سبحانَه وبحمدِه، بأسمائِه وصفاتِه وآياتِه، والعلمُ بشرعِه أيضًا، فهذا العلمُ لا شكَّ ينفي الشبهاتِ عن القلوبِ، ويحفظُها منها، والثاني: الإرادةُ، إرادةُ مرضاةِ اللهِ ومحبتِه سبحانَه وبحمدِه، فهذه تعصمُ القلبَ من الزيغِ والوقوعِ في أمراضِ الشهواتِ.

ذكرَ قاعدةً أيضًا تتزاحمُ فيها المصالحُ والمفاسدُ، وذلك أنَّ الشريعةَ كلها جاءتْ لتحصيلِ المصالحِ وتكميلها، وتعطيلِ المفاسدِ وتقليلها ما أمكنَ، لكنْ يعرضُ للإنسانِ أحوالٌ تتزاحمُ لديه هذه الأمورُ، فإذا تزاحمتْ المصالحُ فماذا يفعلُ؟ يقدمُ أعلاها، وإذا تزاحمتْ المفاسدُ ولا بدَّ منْ أحدها يرتكبُ الأدنىٰ ويدفعُ الأعلىٰ، وإذا كانتْ المفسدةُ راجحةً علىٰ المصلحةِ فهل يعملُ بالحكمِ أو يمنعُ؟ يمنعُ، وإذا كانتْ

المصلحةُ راجحةً على المفسدةِ، فإنَّه يعملُ به حتىٰ ولو كان فيه مفسدةٌ، وأشيرُ إلىٰ القسمةِ الخمسيةِ للمصالحِ والمفاسدِ، والقسمةُ الخمسيةُ هي:

أن تكونَ المصلحةُ محققةً،

ثانيًا: راجحةً.

ثالثًا: مفسدةٌ محققة.

رابعًا: مفسدةٌ راجحة.

خامسًا: تساوي المصلحةُ والمفسدةُ.

باركَ اللهُ فيكم.

وذكرَ حديثًا حولَ مبدإِ لزومِ الجماعةِ، وهي قولُه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثلاثةٌ لا يغلُّ عليهن قلبُ مسلمٍ»، وبيَّن معنىٰ قولِه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا يغلُّ»، يعني تحمي قلبَ المسلمِ من الغلِّ، ومنْ صفاتِ المؤمنين سلامةُ قلوبِهم من الغلِّ، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، أيًّا كانوا، حتىٰ ولو كانوا من آحادِ المسلمين، وهذه الثلاثةُ ما هي؟ إخلاصُ العملِ للهِ، طاعةُ أولي الأمرِ، أو مناصحةُ ولاةِ الأمرِ، ولزومُ جماعةِ المسلمين. وأولُ الحديثِ يا إخواني تنبَّهوا له، حديثٌ جليلٌ جميلٌ عظيمٌ، شأنُه شأنُ أحاديثِ المصطفىٰ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه قالَ: «نضَّرَ اللهُ امرأً سمعَ مقالتي فوعاها فأداها كما سمعَها»، معنىٰ نضَّرَ: دعاءٌ له، بأي شيءٍ؟ بالنضارةِ، النضارةُ في وجهِه في الدنيا وفي الآخرة، والنضارةُ في الوجه

ناشئةٌ عن ماذا يا إخواني؟ عن سرورِ القلبِ، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]، وانظروا جمعَ بين النضرةِ والسرورِ، حتىٰ في الدنيا إذا سُرَّ القلبُ ظهرتْ آثارُه علىٰ الوجهِ نضارةً وضياءً، بخلافِ إذا حزنَ القلبُ.

أمَّا الجنةُ، نسألُ اللهَ الكريمَ منْ فضلِه، ففيها النضارةُ التي هي من أعظمِ نعيمِها، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، وكذا الآيةُ التي ذكرتُ، والنبيُّ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هنا قالَ: «نضَّرَ اللهُ امرأً سمعَ مقالتي»، منْ أين لكم أنَّ هذه الدعوةَ في الدنيا والآخرةِ؟ هذه من قواعدِ التفسيرِ والمعاني، قد يقولُ قائلٌ: نضَّرَ اللهُ امرأً سمعَ مقالتي هذا في القيامةِ فقط، أمَّا الدنيا لا، حتىٰ تعلموا أنَّ طلبَ العلمِ فيه سعادةٌ، فيه لذةٌ، فيه راحةٌ، لكنَّ هذه الراحةَ واللذةَ تحتاجُ إلىٰ وقتٍ، ودونها يا إخوان جهادٌ وعملٌ وتعبٌ، ينتهي هذا التعبُ، وهذا العناءُ إلىٰ لذةِ العلمِ ولذةِ العبادةِ التي هي لذةُ الدنيا الدائمةُ والمستمرةُ والمتصلةُ بلذةِ الآخرةِ، في الدنيا ملذاتٌ لا تُنكرُ، يأكلُ ويشربُ ويلبسُ ويتزوجُ إلىٰ آخرِه، لكنْ عيبُ هذه الملذاتِ أنَّها أولًا تخدمُ البدنَ فقط، والأمرُ الثاني أنَّها مؤقتةٌ بلحظتها، تزولُ وتنتهي وكأنْ لم تمرْ، أمَّا اللذاتُ الحقيقيةُ الكبيرةُ العظيمةُ فهي لذةُ مناجاةِ الربِّ سبحانَه وتعالىٰ وعبادتِه، ولذةُ العلمِ يا إخوان يعرفُ الإنسانُ هذه اللذةَ ربما بعد حينٍ.

أولًا: لأنَّ طريقَ الوصولِ إليها يحتاجُ إلىٰ مثابرةٍ وإخلاصٍ وصدقٍ وصبرٍ.

والأمرُ الثاني: يجدُها الإنسانُ إذا كبرتْ سنه حين انطفأتْ ملذاتُه الأخرُ وضعفتْ، لم يعدْ يحبُ الأكلَ الكثيرَ ولا الشربَ الكثيرَ، يعني مظاهرَ الدنيا يضعفُ ميلُ نفسِه لها، هذه طبيعةٌ في النفوسِ البشريةِ.

ثم تتوثَّبُ هذه اللذةُ وتظهرُ واضحةً جليةً قويةً فتيةً، وحينها يندمُ العلماءُ ندمًا شديدًا، وهذا من الأسرارِ في ندمِ صنفين من البشرِ في أواخرِ العمرِ علىٰ ما سلفَ منه، منْ هم يا إخوان؟ منْ الذين يندمون في أواخرِ العمرِ؟ التجارُ وأهلُ الأموالُ، أموالهم عندهم، وحصدوها من أولِ أعمارهم، أولًا طالبُ العلمِ يندمُ، ويندمُ علىٰ ماذا؟ يندمُ علىٰ أوقاتٍ ثمينةٍ في زهرةِ العمرِ وسنِّ الشبابِ لم يستفدْ منها في طلبِ العلمِ، وكانَ الشافعيُّ يقولُ في بيتٍ أقوله للإخوان دائمًا:

إذا هجعَ النوَّامُ أسبلتُ عَبرتي *** وأنشدتُ بيتًا وهو من ألطفِ الشعرِ

أليسَ من الخسرانِ أن ليالي *** تمرُّ بلا علمٍ وتُحسبُ من عمري

يبكي الشافعيُّ إذا نامَ الناسُ، لماذا؟ علىٰ ليالٍ مرتْ من عمره، فكيفَ بمن ذهبَ من عمره أعوامٌ وأعوامٌ واللهُ المستعانُ، والآخرُ يقولُ في بيتٍ يذكرُه ابنُ القيمِ يستشهدُ به رحمه اللهُ:

يا حسرتاه! تقضىٰ العمرَ وانصرمت *** أوقاته بين ذلِّ العجزِ والكسلِ

والقومُ قد أخذوا دربَ النجاةِ وقد *** ساروا إلىٰ المطلبِ الأعلىٰ علىٰ مهلِ

يتأسىٰ ويتحسرُ ويرىٰ الأقرانَ سبقوه.

يا حسرتاه! تقضىٰ العمرَ وانصرمت *** أوقاته بين ذلِّ العجزِ والكسلِ

هذه آفةُ العُبَّادِ وأهلِ العلمِ التي يشتكون منها دائمًا، العجزُ والكسلُ، والفرقُ بين العجزِ والكسلِ أنَّ العجزَ عدمُ قدرةٍ، والكسلَ ضعفٌ، في ماذا يا إخوان؟ ضعفٌ في الهمةِ والإرادةِ، فيضيعُ عمرُ الإنسانِ يا إخوان بين كسلِ الشبابِ وعجزِ المشيبِ،

واللهُ المستعانُ، فاللهَ اللهَ في اغتنامِ أعماركم في صالح أعمالِكم، لا سيما فيما يقرِّبُكم منْ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، ولا تنسوا دائمًا أن تسألوا اللهَ الثباتَ علىٰ الطريقِ، فالطريقُ طويلٌ طويلٌ لكنه عظيمٌ، ومآلهُ يا إخواني سلعةُ اللهِ الغاليةُ، نسألُ اللهَ الكريمَ من فضله.

مرتْ بنا عدةُ قواعدَ في الحقيقةِ إذا علَّقُ اللهُ علمَه بالشيءِ بعدَ وجودِه، فما المرادُ بالعلمِ هنا؟ مع أنَّه علِمَ به قبلَ وجودِه، علمُ المجازاةِ، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ١٤٠] أي: يجازيهم علىٰ أعمالهم، وإلا فهو عالمٌ بهم قبلَ وجودِ أعمالهم، والمسألةُ الأخيرةُ هي مسألةُ الدعاءِ، أشارَ المؤلفُ رحمَهُ اللهُ في القاعدةِ الحاديةِ والخمسين في الدعاءِ، هذه القاعدةُ مع القاعدةِ التاسعةِ عشرةَ في ختمِ الآياتِ بالأسماءِ الحسنىٰ، قاعدتان جليلتان جميلتان، تكلَّمُ فيهما الشيخُ بكلامٍ نفيسٍ، وكلامٍ واضحٍ بيِّنٍ نحتاجُ إليه كثيرًا، فأديموا النظرَ فيهما واقرؤوهما مراتٍ، وقد أشارَ في هذه القاعدةِ إلىٰ أنَّ الدعاءَ ينقسمُ إلىٰ كم قسم؟، قسمين، دعاءُ مسألةٍ ودعاءُ إجابةٍ، أحدُ القسمين بلسانِ المقالِ ما هو؟ دعاءُ المسألةِ، ربِّ اغفرْ لي، ربِّ ارحمني، إلىٰ آخرِه، والقسمُ الثاني بلسانِ الحالِ، فكلُّ منْ عبدَ اللهَ وعملَ صالحًا فلسانُ حالِه أنَّه يدعو اللهَ، لو قلتَ لشخصٍ يصلي لماذا تصلي؟ قالَ: أطلبُ مرضاةَ ربي، وأطلبُ الجنةَ، فهو يدعو ولكنْ بلسانِ حاله.

وذكرَ أيضًا في قولِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، ذكرَ أنَّ كلَّ دعاءٍ في القرآنِ يُحملُ علىٰ الأمرين، بعضُه قد يكونُ دعاءَ مسألةٍ أظهرَ، وبعضُه دعاءُ العبادةِ، لكنْ بكلِّ حالٍ بينهما علاقةٌ، فدعاءُ العبادةِ يتضمنُ دعاءَ المسألةِ، ودعاءُ المسألةِ يستلزمُ دعاءَ

العبادةِ، ذكرَ جملةَ أدلةٍ منها هذه الآيةُ العظيمةُ، ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، كيف ندعوه تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ؟ بنوعي الدعاءِ، إمَّا بدعاءِ المسألةِ، وذلك بأنْ تتوسلَ إلىٰ اللهِ بأسمائِه الحسنىٰ، اللهمَّ إني أسألُك بأنَّك الغفورُ الرحيمُ التوابُ الحكيمُ أنْ تغفرَ لي وترحمني، أسألُك بأنَّك أنتَ اللهُ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوًا أحدًا أنْ تغفرَ لي وأنْ توفقني وتعينني... إلىٰ آخره، والثاني: دعاءُ العبادةِ، وهذا المعنىٰ الكبيرُ العظيمُ يا إخوان، ومعناه أنْ تتعبدَ اللهَ بما تقتضيه هذه الأسماءُ، تفهمُ الاسمَ، تستحضرُ معناه، تملأُ قلبَك من هذا المعنىٰ، خذوا مثلًا اسمَ الرحمنِ الرحيمِ، هذان الاسمان الجليلان المتضمنان صفةَ الرحمةِ للربِّ -عَزَّ وَجَلَّ-، كيفَ تتعبدُ اللهَ بهذين الاسمين: برجائه، وحسنِ الظنِّ به، وانتظارِ الفرجِ منه سبحانَه وتعالىٰ في كلِّ الأمورِ، إذا عرضَ لك أمرٌ منْ محنِ الدنيا ومصائبها فتذكَّرْ أنَّ ربَّك هو الرحمنُ الرحيمُ، وتعرَّضْ لأسبابِ رحمته سبحانَه وبحمدِه وانتظرْ فرجَه، وأعظِمْ الرجاءَ فيه، وأحسِنْ الثقةَ فيه سبحانَه وبحمدِه.

واسمُ السميعِ والبصيرِ والعليمِ والخبيرِ واللطيفِ، هذه المعاني أيضًا يا إخواني تُربي في قلبِك ماذا؟ مراقبةُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؟ كيفَ تعصي اللهَ واللهُ تعالىٰ مطلعٌ عليك ناظرٌ إليك، يرىٰ مكانَك ويسمعُ كلامَك، ويعلمُ سرَّك وإعلانَك، وهكذا، ولهذا يقولُ العلماءُ: كلُّ اسمٍ من أسماءِ اللهِ له عبوديةٌ، فدعاءُ اللهِ بهذا الاسمِ أنْ تتعبَّدَ اللهَ، وأنْ تتعاملَ مع اللهِ بهذه العبوديةِ، وبهذا المعنىٰ كما ذكرَ، فمعرفةُ اللهِ بأسمائه عظيمةٌ يا إخوان، ولهذا قالَ عليه السلامُ في الحديثِ المخرجِ عند مسلمٍ: «إنَّ لله تعالىٰ تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها دخلَ الجنةَ»، يظنُّ العامةُ أنَّ إحصاءَها

حفظُها، ويحفظونها ويرددونها، لا، هذا من إحصائها وأوله، ومع إحصائها فهمُ ما تيسرَ من معانيها، وإلا فلنْ تحيطَ علمًا بمعانيها، والثالثُ وهو أشدُّها أن تتعبدَ اللهَ بما تقتضيه هذه الأسماءُ، ولهذا لما كانَ المصطفىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الغارِ مع أبي بكرٍ وحزنَ أبو بكرٍ علىٰ رسولِ اللهِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ماذا قالَ له النبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ولمَّا تبعَ فرعونُ بني إسرائيلَ ومعهم موسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ وأحدقَ بهم، وصارَ فرعونُ وراءهم والبحرُ أمامهم، قالَ بنو إسرائيلَ: إنَّا لمدركون، فماذا قالَ موسىٰ؟ ﴿كَلَّا﴾، لماذا؟ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فإيمانه بأنَّ اللهَ معه، وإيمانُ محمدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واستحضارُ هذا المعنىٰ أورثَ في القلوبِ سكينةً وطمأنينةً وراحةً، وهذه يا إخوان ثمراتُ النظرِ في أسماءِ اللهِ وتأملها، والإيمانُ بها، وأنَّ الإنسانَ يتعبدُ اللهَ سبحانَه وتعالىٰ بما تقتضيه وما تدلُ عليه.

{بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم، الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آلهِ وصحبه أجمعين، اللهمَّ اغفرْ لنا ولشيخنا وللحاضرين.

قالَ المصنِّفُ رحمه اللهُ تعالىٰ: (القاعدةُ الثالثةُ والخمسون من قواعدِ القرآنِ أنَّه يبينُ أنَّ الأجرَ والثوابَ علىٰ قدرِ المشقةِ في طريقِ العبادةِ، ويبينُ معَ ذلك أنَّ تسهيله لطريقِ العبادةِ من منهِ وإحسانِه وأنَّها لا تنقصُ الأجرَ شيئًا)}.

من القواعدِ المستنبطةِ من كتابِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أنَّ الأجرَ علىٰ قدرِ المشقةِ، وكما قلتُ لكمْ: إنَّ الشيخَ يعتني بالآياتِ، وإلا فهذه القاعدةُ نصُّ حديثٍ، حيثُ قالَ النبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعائشةَ لما قالتْ: يصدرُ الناسُ بنسكين وأصدرُ

بنسكٍ، لما حجتْ معه وأتاها ما يأتي النساءُ، فقالَ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أجرُك علىٰ قدرِ نصبِك»، وفي روايةٍ: «علىٰ قدرِ نفقتك»، فالأجرُ علىٰ قدرِ النَّصبِ، كلمَّا اشتدَّ الأمرُ عظمَ الأجرُ، وتتفاوتُ الأعمالُ من حيثُ أجورِها بناءً علىٰ أمورٍ متعددةٍ، ومنها المشقةُ، وإلا فما معنىٰ أنْ يكونَ العلمُ أفضلَ الأعمالِ حتىٰ اختلفَ العلماءُ في المفاضلةِ بينه وبين الجهادِ، العلمُ مشقةٌ يا إخوان، لما جاءَ موسىٰ إلىٰ الخضرِ قالَ له بأسلوبِ المتأدبِ: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، ماذا قالَ الخضرُ؟ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨]، فقالَ موسىٰ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

ذكرَ موسىٰ عليه السلامُ مسألتين إذا تحلَّىٰ بهما طالبُ العلمِ أفلحَ، ما هما؟ الصبرُ، والثاني: الطاعةُ، كلُّ إنسانٍ مطيعٌ، يكونُ عاصيًا، يُؤمرُ ويُقالُ: ليسَ له إلا رأيه، فإذا كانَ لينًا يطيعُ الناصحين، من يحبونَ له الخيرَ وينصحونه وصبرَ، فالغالبُ أنَّه يصلُ إلىٰ مُرادِه، مثَّلَ المؤلفُ في قوله، أمثلةً نأخذُ شيئًا منها، قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، البشارةُ هي الأمرُ السارُّ، لما سُميتْ بشارةٌ؟؛ لأنَّ البشرَ كلها تتفاعلُ معها، إذا بشرتَ إنسانًا بخبرٍ سارٍّ تجدُ الفرح في قلبه، وفي نفسه، وفي وجهه، بشَّر الصابرين، من هم الصابرون؟ الذين إذا أصابتهم مصيبتهم، الصبرُ عظيمٌ ولهذا ذُكر في القرآن في مواطن عديدةٍ جدًّا، وسيأتي له كلامٌ بعد قليلٍ إن شاء الله، لكن هنا في هذه الآيات انظروا إلىٰ الفضائل التي يحصلُ عليها من عَرض له أمرٌ فصبرَ،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، إذا كان الله معهم فما يضيرهم؟ وما يضرهم؟ ثم قال هنا الثانية: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، هذه بشارةٌ ممن؟ من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وما ظنُّك ببشارةٍ من الله -عَزَّ وَجَلَّ.

وبيَّن مَن هم الصابرون؟ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ما معنىٰ (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) يا إخوان؟ نحن عبيده، وهو تعالىٰ مليكُنا وسيدُنا والسَّيدُ يفعل بعبيده ما يشاء، فنحن راضون مسلِّمون مستسلمون، الأمرُ الثاني: إليه راجعون أيضًا يوم القيامة فيجازينا علىٰ صبرنا هذا أوفرَ الجزاءِ وأعظمه، فيستشعر الإنسان هذين الأمرين: الأمرُ الأول: عبوديتُه لله -عَزَّ وَجَلَّ، والثاني: رجوعُه إلىٰ الله وما ينتظره من الأجرِ العظيمِ عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ثمَّ قال بعدها: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]، الثالثُ: صلواتٌ من ربهم، ثناءٌ من الله عليهم في الملأِ الأعلىٰ، الرابعُ: ورحمةٌ، والخامسُ: وأولئك هم المهتدون، خمسُ فضائلَ ذكرها ربنا للصبرِ في هذه الآية، ولماذا؟؛ لأنهم صبروا علىٰ أمرٍ، ماذا يا إخوان سهل أو فيه مشقةٌ؟ فيه مشقةٌ.

والصبر مثل اسمه مُرٌّ مذاقته *** لكن عواقبه أحلىٰ من العسل

تعرفون الصبرَ الذي يباعُ عند العطارين، لو تأتي عند العطارِ تقول: عندك صبرة أو صبرٌ يعطيك إياها، من أشد الأشياء مرورةً، ويقول: الصبرُ مثل اسمه مرٌّ، والصبر لا يكون علىٰ شيءٍ حلوٍ، لكن عواقبه، ماذا؟ ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، أيضًا ذكر آية الجهاد، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، المعيارُ في الخيرِ والشرِّ ليس إلينا،

قد ترىٰ الأمرَ خيرًا وهو شرٌّ، ولهذا قال: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فإن الإنسانَ يسعىٰ في طلبِ الشيءِ ولا يدري أن الشرَّ ينتظره إن لم يحفظه الله سبحانه وتعالىٰ منه، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، هذا الأجرُ العظيمُ علىٰ الصبرِ لا ينافي أنَّ الله ييسِّر الأمرَ أيضًا ويسهِّله، فإذا صَبرَ الإنسانِ واحتسبَ يسَّرَ اللهُ عليه ذلك الأمرَ، فنالَ بذلك التيسيرَ والتسهيلَ والإعانةَ ونالَ ثوابَ الصبرِ أيضًا.

ولهذا يقول -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [اللَّيل: ٥-١٠]، لماذا يسَّر الأولَ لليُسرَىٰ والثاني للعُسَرىٰ؟ فعَلوا الأسبابَ، فعَّل الأولُ الأسبابَ فيسَّرَ اللهُ له طريقَ اليسرَىٰ، والثاني فعَّل أسبابَ التعسيرِ فيسَّر له طريق العسرَىٰ ولا قوةَ إلا بالله، وتأملوا يا إخوان، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [اللَّيل: ٥ - ٧]، ما قال: فسوف ربنا -عَزَّ وَجَلَّ-، لماذا؟ ما الفرقُ بين السينِ وسوف؟ يقول: السينُ للتنفيسِ، وسوف للتسويفِ، أيهما أقرب؟ السينُ بلا شكٍّ، السينُ أقربُ، سنيسِّره، وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النَّحل: ٩٧]، هذا في الدنيا، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النَّحل: ٩٧]، هذا في الآخرة، هذا مَن استقامَ علىٰ طاعةِ ربه، واجتهد في الأعمالِ الصالحةِ، تحصل له الحياةُ الطيبةُ، الشيخُ جاءَ بكلامٍ جميلٍ جدًّا عليها؛ لأن بعضَ الناسِ يقول: يا أخي هذا رجلٌ صالحٌ وطيبٌ، وأُبتلِيَ بأمراضٍ

وكذا، ويظنُّ أنَّ الحياة الطيبة أن يظلَّ الإنسان غنيًّا فتيًّا قويًّا صحيحًا، كذا، كذا... إلىٰ آخره، ليس بالضرورةِ هكذا.

الحياةُ الطيبةُ، الشيخُ ماذا قال يا حمزة: ذوقُ حلاوةٍ؟

(ومن الحياةِ الطيبةِ التي يُرزقونها ذوقُ حلاوةِ الطاعاتِ، واستحلاءُ المشقاتِ).

ذوقُ حلاوةِ الطاعاتِ واستحلاءُ المشقاتِ، ليس الصبرَ فقط، وإنما يجد حلاوةَ المشقةِ، ورأينا من ابتلوا بأمراضٍ وتجده منشرحًا، مرتاحًا، مطمئنًّا، وسببه الرضا، ومرادُ الشيخِ ما ذكره النبيُّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، «عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا»، فهو بين الشكرِ وبين الصبرِ، والإنسانُ دائمًا بين الأمرين، هذه حياة كُلِّ إنسانٍ علىٰ وجه الأرض، يتعرَّضُ لنعمٍ يحتاجُ أن يشكرَ عليها حتىٰ تزيدَ، ويتعرَّضُ أيضًا لمحنٍ، يحتاج أن يصبرَ عليها حتىٰ تذهبَ وتنقشعَ، ولهذا دائمًا ربنا يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١]، دائمًا يجمع بين الصبر وبين الشكر، فإذا كان المؤمنُ بهذه المثابةِ هذه هي الحياةُ الطيبةُ، الإنسانُ في هذه الدنيا في رحلةٍ سوف تنقضي في يومٍ من الأيامِ، ويعرض له فيها ما يعرض لغيره، وتجد غير المسلمِ أو حتىٰ المسلمَ ضعيفَ الإيمانِ إذا عرض لأمرٍ من أمورِ الدنيا يتبرَّم ويضيقُ وربما ينتحرُ، الله يحفظنا وإياكم بحفظه، يتخلَّصُ مما هو فيه، بينما المسلمُ العارف بربه المطمئنُ في دينه، ومطمئنٌّ في قلبه تجده دائمًا بين الرِّضا والتسليم والصبرِ واليقينِ والإيمانِ واحتسابِ الأجر عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

(القاعدة الرابعة والخمسون: كثيرًا ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته وثمرته المقصودةِ منه، وإن كانت صورته موجودة).

ينفي الله الشيءَ بانتفاءِ ثمرته وإن كانت صورته موجودةً، لكن ما فيه ثمرةٌ، ما الفائدةُ فيه إن لم يكن فيه ثمرةٌ؟ وأمثلةُ هذا في القرآن عديدةٌ، هذه قاعدةٌ جميلةٌ يا إخوان، قال تعالىٰ في أول البقرة: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، وقال في أثنائها: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، طيب المنافقون في المدينةِ والكفارُ كلهم لهم آذانٌ وألسنةٌ ويتكلمون، بل قال الله عن المنافقين: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، كيف يقال: إنه أبكم وإنه أصم وإنه أعمىٰ، لماذا؟ لأنَّ هذه الحواسَّ التي هي منافذ العلمِ والتي يُفترضُ أن يعرف بها ربه مفقودةٌ آثارها وفوائدها بالنسبةِ له، فهو أصمُّ لا يسمع الحقَّ، وأعمىٰ لا يرىٰ، وأبكم لا يتكلمُ به، إذًا ما الفائدةُ من هذه الحواسِّ، ولهذا قال في آيةٍ أخرىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، شبَّههم بالبهائمِ، البهائمُ تُبصرُ وتسمعُ، ولها قلبٌ، لكن هم كالبهائمِ بل هم حتىٰ أضلُّ، البهائمُ تعرف طريقها وما خُلقت له، وهذا لا يدري مآله ولا يدري حاله.

وتأملوا يا إخوان، وأسألكم هذا السؤالَ، في المنافقين قال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، وفي الكفارِ قال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا

﴿لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، ما الفرق يا إخوان؟ في المنافقين قال: لا يرجعون.

{....}

لماذا يصعب؟ المنافقُ قليلٌ رجوعه مع أنَّه قد يرجع كما ذكر الله في الذين تابوا وأصلحوا، فئةٌ من المنافقين، لكنْ قليلٌ رجوعهم، والسبب أنَّه ترك الحقَّ علىٰ بصيرةٍ، علمٍ، صلَّىٰ مع الناسِ، وعمل أعمالًا مع الناسِ، ولكنْ يتمادىٰ في غيِّه وضلاله، وأمَّا الكافرُ فالغالبُ أنَّه ما علم بهذه الأمورِ علمًا يمكن أن يفضي بها إلىٰ قلبه، فهو لا يعقلُ، ويوشك أن يعقلَ في لحظةٍ من اللحظاتِ فيتوب، ولهذا احرصوا يا إخواني من منَّ الله عليه بالاستقامةِ أن يثبت عليها، وسلُوا ربَّكم دائمًا الثبات، سلُوه الثبات، فإنَّ كثيرًا ممن يستقيم ثم تزلُّ قدمه قلَّ أن يرجع، أولُ عقوبة من الله -عَزَّ وَجَلَّ- حيث تذوَّق حلاوةَ الإيمان، ثم تركها مع أنه لو تذوَّقها ما تركها، ما يمكن، ولهذا قال هرقل لأبي سفيان: هل يرجعون عنه سلطةً لدينهم؟ قال: لا، قال: كذلك حلاوةُ الإيمانِ إذا باشرت بشاشةَ القلب، لكنْ مع ذلك من استقام فترةً ثم ترك، تجده عياذًا بالله قلَّ أنْ يرجع، وربما يكون ضلالُه وزيغه أشدَّ من غيره، نسأل الله وإياكم الحفظَ والسلامةَ.

من هذه أيضًا قوله -عَزَّ وَجَلَّ- عن المنافقين وأهل الكتاب مع وجودِ شيءٍ عندهم من دينٍ، ومع ذلك نفىٰ عنهم الدينَ كلَّه، قال عن اليهودِ والنصارىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠]، اليهودُ آمنوا علىٰ

زعمهم بموسىٰ، ولو آمنوا به لآمنوا بمحمدٍ إيمانًا صحيحًا، وكفروا بعيسىٰ وقالوا فيه أفظعَ المقولاتِ وفي أمِّه عليهم السلام، وكفروا بمحمدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأرادوا قتله عدةَ مراتٍ بالسُّمِّ والسحرِ وإلقاءِ الصخرةِ علىٰ رأسه، والنصارىٰ كفروا بمحمدٍ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبدينه وبالقرآنِ وكذَّبوا الله ورسوله، وقالوا: نريد أن نتخذَ بين ذلك سبيلًا، لا إلىٰ هؤلاءِ ولا إلىٰ هؤلاءِ، فقال الله: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النِّساء: ١٥١]، طيب قالوا: نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعضٍ، قالوا: نؤمن ببعضٍ، فلماذا نلغي عنهم هذا الإيمانَ؟ لماذا يا إخوان؟ ليس له ثمرةٌ، أيَّ إيمانٍ يزعمونه؟ لو آمنوا بموسىٰ حقًّا وبعيسىٰ حقًّا وبالتوراةِ والإنجيلِ حقًّا لآمنوا بمحمدٍ، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، أين التوراةُ وأين الإنجيلُ الذي تؤمنون به؟ فنفىٰ الله تعالىٰ عنهم الإيمانَ وأثبت لهم الكفرَ.

﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النِّساء: ١٥١]، فلا يأتي أحدٌ ويقول: هؤلاء أهلُ كتابٍ وهؤلاء مؤمنون، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النِّساء: ١٥١]، وقال عن المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، لماذا نفىٰ عنهم الإيمانَ؟ لأنَّ إيمانهم كذبٌ وزورٌ، فهو إسلامٌ في الظاهرِ، يصلونَ مع المسلمين بعضَ الصلواتِ، يعملون بعضَ الأعمالِ لكنَّهم فجرةٌ وكفرةٌ في قلوبهم، فلمَّا لم يكن لهذا الإيمانِ ثمرةٌ نفىٰ عنهم الإيمانَ قاطبةً، أيضًا يُنفَىٰ العلم أحيانًا عمَّن لديه علمٌ إذا هو خالفه؛ لأنَّ العلم، وهذا من المفاهيمِ الخاطئةِ، النَّاس يظنُّون أنَّ العلمَ هو ما تودعه في صدرك من المحفوظاتِ،

حفظت كتابَ كذا ومتنَ كذا وكذا، إذًا أنا عالمٌ وطالبُ علمٍ، ننظر في الأعمالِ، فإنْ أتبع العلمَ بالعملِ فذاك العلمُ، وإنْ كان يتعلمُ ويحفظُ ويقرأُ ويكتبُ ويدرس، ولكنه لا يعملُ فهل هذا عنده علمٌ؟ هذا لو كان جاهلًا لربما كان خيرًا له.

وتأملوا معي يا إخوان آيتين، الآية الأولىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النِّساء: ١٧]، أسألكم يا إخوان هل هؤلاء جهالٌ؟ الذين عملوا السوءَ هل هم جهالٌ لا يعرفون أنَّ هذا حرامٌ الذي عملوه؟ لا، هم يعرفون، ولهذا تابوا منه، لو كانوا يعرفون أنَّه حرامٌ ما تابَ حتىٰ ينبَّه عليه، فلماذا إذًا وصفهم الله بالجهالةِ؟ يعملون السوءَ بجهالةٍ، الجاهلُ يا إخوان ما هو أعظم من مجردِ أنَّ هذا الشيء حرامٌ، جهلوا بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، جهلوا بمراقبةِ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، جهلوا بتعظيمِ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، جهلوا بعقوبةِ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، جهلوا بعقوبةِ هذه المعاصي وآثارِها علىٰ قلوبهم، كل هذه الأنواعُ من الجهالاتِ اجتمعت، فاستحقُّوا بذلك أنْ يكونوا ماذا؟، أن يكونوا جهَّالًا، هذا رجلٌ كتبَ بحثًا في صلاةِ الليلِ، وأورد الأدلةَ والنصوصَ وآثارَ السلفِ، وقصصَ السلفِ رحمهم الله في صلاةِ الليلِ، ولا سيما ونحن في فصلِ الربيعِ، ما الربيعُ يا إخوان؟ نحن في الربيعِ، ما المقصودُ بالربيعِ؟ ربيعُ المؤمن، «الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقام، وقصر نهاره فصام»، إنْ صام يفطرُ ولا يريد أنْ يأكل ولا يشرب، ما شاء الله لا جوعٌ ولا عطشٌ، وفي الليلِ ينام، الليلِ هذه الأيام أذان المغرب كم؟

{المغرب خمس وتسع وعشرون دقيقة.}

والفجر قريب منه أيضًا خمس وعشرون أو وثماني عشرة دقيقة، يحتاج الشابُّ أن ينام ستَّ أو سبعَ ساعاتٍ، خمسٌ يذهب منه ثلاثٌ في أول الليل أو أربعٌ يبقىٰ ساعتان أو ساعةٌ، هذا يوم أنْ كان الناس ينامون النومَ الطبيعيَّ، الله المستعانُ، طيب هذا الذي كتب بحثًا وقدَّمه وقرئ وقرأ سأله شخصٌ: تصلي الليلَ؟ قال: يا أخي أستحيي أن أُجيبك، قال: أنا لا أصلي، أقوم للفجر وأصلي، هل يعتبر هذا عالمًا بهذا الموضوع الذي بحثه؟ هذا علمٌ ليس له ثمرةٌ، والعلماء يقولون: العلم بلا عملٍ كالشجرةِ بلا ثمرٍ، فقل له: يا أخي أنت شجرةٌ بلا ثمرٍ، لو كتبتَ، لو علمتَ، لو ما فهمتَ، يمكن يغضب منك، بعد كل هذا الجهدِ وهذا التعبِ، قل له: اقرأ قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، هل تقدَّم في الآية علمٌ أو عملٌ؟

{عملٌ}.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾ [الزُّمر: ٩]، علمٌ أو عملٌ؟ عملٌ ناتجٌ عن علمٍ، ففُسِّر العلم في الآية بأي شيءٍ؟ يُخطئ الناسُ عندما يظنُّون أنَّ العلمَ هو حفظُ المتونِ وكذا وكذا وكذا، ولهذا قال عبادة بن الصامت في حديث أثر جبير بن نفير قال: حدثنا أبو الدرداء أنَّهم كانوا عند النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هذا أوانُ يرفعُ العلمُ، نعوذ بالله، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يُرفع يا رسول الله؟ وقد قرأنا القرآنَ، والله لنقرأنَّه ولنقرئنَّه أولادنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «كنت أظن أنَّك من فقهاء المدينة، هؤلاء اليهود

والنصارىٰ عندهم التوراة والإنجيل فما أغنت عنهم»، يقول جبير: فلقيت عبادةَ بن الصامت فقلت له: أما تسمع إلىٰ كلامِ أخيك أبي الدرداء؟ قال: صدق، ثم قال: ألا أخبرك عن أولِ علمٍ يرفعُ؟ قلت: بلىٰ، قال: الخشوعُ، حتىٰ إنَّك لتدخل مسجدَ القومِ فلا ترىٰ فيهم خاشعًا، اللهمَّ ارحمنا برحمتك وأنت أرحمُ الراحمين، أولُ علمُ يرفعُ الخشوعُ، فسَّر عبادة العلمَ بالعملِ، بالخشوعِ، ولهذا ذكرت لكم أن العلمَ علمان: علمٌ بالله، وعلمٌ بأمر الله وشرعه، العلمُ بالله علمٌ عظيمٌ يا إخوان، هنا يُنفىٰ العلمُ عن الإنسانِ حتىٰ لو علِمَه إذا لم يكن له ماذا؟ إذا لم يكن له ثمرةٌ، إذًا خلاصةُ القاعدةِ، رأسُ القاعدة السابقة يا حمزة.

(كثيرًا ما ينفي الله الشيءَ لانتفاءِ فائدته).

ينفي الله تعالىٰ الشيءَ بانتفاءِ فائدته وثمرته، فنفىٰ عنهم السمعَ والبصرَ والعقلَ؛ لانتفاءِ الفائدةِ، وإنْ كانت الأدواتُ والحواسُّ موجودةً، نفىٰ الإيمانَ عن اليهودِ والنصارىٰ والمنافقين وإنْ كانوا يدَّعون شيئًا منه؛ لعدم ثمرته ونتيجته وفائدته.

أحسنَ الله إليكم

(القاعدةُ الخامسةُ والخمسون: يُكتب للعبد عمله الذي باشره، ويُكمَّل له ما شرعَ فيه، وعجزَ عن تكميله، ويُكتب له ما نشأ عن عمله).

هذه ثلاثةُ أشياء تُكتب للإنسانِ في العملِ، فيُكتب للإنسانِ عمله الذي عمله، وهذا كثيرٌ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النَّحل: ٩٧]، إلىٰ آخرِ الآيات، آياتٌ كثيرةٌ في

هذا، الثاني ويُكتب له ما شرع فيه ولم يتمكَّنْ من إكماله، وهذا من فضل الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ [النِّساء: ١٠٠]، حتىٰ وإن لم يصل إلىٰ مُهاجره، ولهذا لما سقطَ رجلٌ من ناقته وهو في مكةَ في حجةِ الوداعِ وماتَ، قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كفِّنوه بثوبين ولا تحنِّطوه» إلىٰ أنْ قال: «فإنَّه يبعث يوم القيامة ملبيًا»، لم يتمكن من إكمالِ العملِ فاستمرَّ العمل وأثرُ العملِ إلىٰ يوم القيامةِ، والثالث: يُكتب آثارُ العملِ، آثارُ العملِ الذي قد تعمل عملًا قد يكون له آثارٌ، قد تعلم وقد لا تعلم بها، فيُكتب لك هذا الأثرُ علمته أو لم تعلمه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢]، فتُكتب لهم آثارُ أعمالهم، إنْ قصدوها فذاك، وهذا هو الأكملُ، وحتىٰ إنْ لم يقصدوها، لو كنت تُصلي في مسجدٍ وجاءَ واحدٌ مارٌّ عابرٌ، ودخل المسجدَ ممكن دخوله قليلٌ، وصلَّىٰ معك وسمع آياتٍ من كتاب الله تتلوها، وأنت تتلو، وفي نيتك أنْ تعظَ الناسَ وتدعوهم إلىٰ الله بكتابِ الله، فوقر في نفسه آيةٌ استقام واهتدىٰ بسببها لك أجرٌ أو ليس لك أجرٌ؟ لك أجرٌ، ما علمته ولا تدري منه ولا تعرفه.

لا شكَّ أنَّ هذا من آثارِ الأعمالِ، الأعمالُ لها آثارٌ عظيمةٌ، أورد المؤلفُ آيةً في التوبةِ أيضًا، وهي قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾، تأمَّلوا معي هذه الآيةَ يا إخوان، ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٠]، ظمأٌ يعني عطشًا، مخمصةٌ تعني جوعًا، ﴿ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠]، مع أنَّ الثلاثةَ الأول هل هي عملٌ؟ الجوعُ والعطشُ والنصبُ هل هو عملٌ؟ لا، لكنَّه من آثارِ أعمالهم، فكتب الله لهم الآثارَ أعمالًا، جعل هذه الآثارَ التي نالتهم جرَّاء عملهم، وسيرهم في سبيلِ الله جعلها من الأعمالِ الصالحةِ، ولهذا قال في الآيةِ التي بعدها: ﴿وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ [التَّوبة: ١٢١]، هذه أعمالٌ، وعندما يقول: كُتب لهم يبين أن هذه أعمالٌ، أعمالٌ عملوها، فكتب الله لهم أجرَها وثوابَها، وأمَّا الأُول فليست بأعمالٍ ولهذا كتبها الله لهم أعمالًا، فتنبَّهوا للفارق.

الرابعُ يا إخوان: ما تركه الإنسان عجزًا، أعمالٌ كان يعملها، لكنه لم يتمكن، يصوم الاثنين فمرضَ في ذلك اليومِ فلم يصُمْ، يُكتب له أجرٌ أو لا؟ يكتب له، الدليلُ: «إذا مرض العبد كتب له ما كان يعمل صحيحًا مريضًا»، الخامس: يُكتب له أيضًا نيته العملَ الصالحَ إذا كان لا يستطيع، رأيت إنسانًا بنىٰ مسجدًا فقلت: يا ليت عندي شيءٌ من مالٍ لأبني مثل هذا المسجدِ، وتمنيته بصدقٍ تؤجرُ أو لا تؤجر؟ بماذا يؤجرُ؟ بالنيةِ، وفي الحديث: «إنما الدنيا لأربعة: رجل أعطاه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي به ربه ويصل به رحمه ويعلم أنَّ لله تعالىٰ فيه حقًا فهو بأرفع المنازل، ورجل أعطاه الله علمًا ولم يعطه مالًا فهو يقول: لو أنّ لي مثل مال فلان فعلت مثل فعل فهو بنيته فأجرهما سواء»، لكن هل له أجرُ العملِ والنيةِ أو أجرٌ بالنيةِ فقط؟ الذي يظهر أنَّها النيةُ فقط، أما العملُ لا، ولهذا قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للفقراء لما اشتكوا إلىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّ إخوانهم سبقوهم، ذهب أهلُ الدثورِ بالأجورِ،

وأمرهم النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالتسبيح وكذا، جاؤوا للنبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شاكين قالوا: يا رسول الله! سمع إخواننا الأغنياءُ أهلُ الأموالِ ما قلناه فقالوا مثلنا، فماذا قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»، لكم أجرُ النيةِ أنتم، وأمَّا العملُ فعلىٰ كلِّ أحدٍ، فلا شكَّ أنَّ لصاحبِ النيةِ والعملِ جميعًا أجرًا عظيمًا، وأمَّا من لا يستطيع أن يعملَ يكفي منه أن ينوي، ولهذا يا إخواني أَحِبُّوا الخير إن لم تستطيعوا عمله.

هذه خمسٌ إذًا ما هي؟

- يُكتب له عملُه.

- الثاني ما بدأ به ولم يكمله.

- الثالثُ آثاره.

- الرابعُ ما تركه عجزًا.

- الخامسُ نيته العملَ الصالحَ.

(القاعدةُ السادسةُ والخمسون: يُرشد القرآنُ المسلمين إلىٰ قيامِ جميعِ مصالحهم، وأنَّه إذا لم يمكن حصولها من الجميعِ فليشتغل بكل مصلحةٍ من مصالحهم من يقومُ بها، يُوفرُ وقته).

هذه قاعدةٌ جميلةٌ، قاعدةٌ اجتماعيةٌ اقتصاديةٌ أنَّ القرآنَ الكريمَ يُرشد الناسَ إلىٰ قيامِ المصالحِ، قيامِ مصالحهم، وتعاونهم في القيامِ بهذه المصالحِ، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَثَلُ

المسلمين مثل الجسد الواحد»، ولهذا الجسدِ الواحدِ، اليدُ لها عملٌ، والأصبعُ له عملٌ، والرِّجلُ لها عملٌ، والعينٌ لها عملٌ، كل عضوٍ في الإنسانِ له وظيفةٌ، كذا المجتمع، أيضًا يحرصون علىٰ أنْ يقوموا بمصالحهم بهذه المثابةِ، ويتعاونوا فيما بينهم في أمور دينهم، ماذا يا إخوان؟، ولا يمكن أن يكون الناسُ كلهم علماء، أطباء، مهندسين، تجارًا، لا يمكن، ومن حكمةِ الله أنْ ميَّز بين الناس، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ولهذا قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوبة: ١٢٢]، هذه آيةٌ عظيمةٌ، اُختلف في تفسيرها، فالشافعيُّ يرىٰ أن الآية كلها في العلم، ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التَّوبة: ١٢٢] في طلب العلمِ، ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التَّوبة: ١٢٢]، يطلبون العلمَ ويتفقَّهون في الدينِ ثم يرجعون إلىٰ أهلهم فينذرونهم ويحذرونهم، فاعتبرَ الآيةَ كلَّها من أولها إلىٰ آخرها في العلمِ، والقولُ المشهورُ عند كثيرٍ من المفسِّرين أنَّ أولَ الآيةِ في الجهادِ، وآخرها في العلمِ، ولهذا قرن الله بين الأمرين؛ لعظيمِ أجرهما، فقال: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [التَّوبة: ١٢٢]، وبقيت طائفةٌ أخرىٰ ليتفقهوا في الدينِ، إذًا نفرت طائفةٌ للجهادِ، وبقيت طائفةٌ، لماذا؟ ليتفقهوا في الدينِ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، إذا رجعَ من ذهبوا إلىٰ الثغورِ إليهم أخبروهم

وعلَّموهم وفقَّهوهم في دينهم مما تعلمه هؤلاء الذين أقاموا، ما أدري الآيةُ واضحةٌ أو غيرُ واضحة.

إذًا قسَّم الله الناس إلىٰ قسمين: قسمٍ يذهب إلىٰ الثغور، والذَّبِ عن الديارِ والأعراضِ والدينِ، وقسمٍ يجلس يتفقَّه في الدينِ ويقومُ بالمصالحِ، مصالحِ الناسِ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، قسموا الناس إلىٰ قسمين، لا يمكن للناس كلِّهم أنْ يكونوا علماء ودعاةً إلىٰ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، كلهم يأمر بالمعروفِ، وكلهم ينهىٰ عن المنكر، لا، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، واختُلف في قوله: {منْ} ، فقيل هي للتبعيضِ، كما هو قول الأكثرِ، وقيل: بل هي بيانيةٌ، والمقصودُ أن المسؤولياتِ في المجتمعِ المسلمِ مقسَّمةٌ بين الناسِ، سواء ما يتعلق بأمورِ دينهم أو أمورِ الدنيا، ومن فضلِ الله ولطفه أنْ قسَّم بين الناسِ قدراتهم كما قسَّم بينهم أرزاقهم وأخلاقهم، وتجد المجتمعاتِ التي أهلها يعملون في الحرفِ والمهنِ تجد المهنَ أُسَرًا، وتجد في هذه الأسرةِ يكثر طلابُ العلمِ، أعطاهم الله بعضَ الصفاتِ الجيدةِ في طلب العلمِ وتحصيله وتعلمه، هذه الأسرةُ أهلها يكثر فيهم التجار، عندهم قدراتٌ تجاريةٌ، هؤلاء أهلُ مهنٍ وحرفٍ، يجيدون هذه المهنةَ أو هذه الحرفةَ، وهكذا، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالىٰ وعدله حيث قسَّم بين الناس أرزاقهم أخلاقهم أعمالهم، أعطىٰ كل إنسانٍ ما يكون سببًا لقيامه بمصالحه في الدنيا.

(القاعدةُ السابعةُ والخمسون في كيفيةِ الاستدلالِ بخلقِ السماواتِ والأرضِ وما فيها علىٰ التوحيدِ والمطالبِ العالية).

هذه قاعدةٌ في العقيدةِ عظيمةٌ يا إخوان، ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- يذكر خلقَ السماواتِ في آياتٍ عديدةٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ [الدُّخَان: ٣٨]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: ٢٧]، وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فكيف يتأمل الإنسانُ ويتفكَّرُ في هذه المخلوقاتِ؛ لأنه من المعلوم لدىٰ من لديه ذرة عقلٍ أنْ كلَّ مخلوقٍ في هذه الدنيا حتىٰ أصغرُ المخلوقاتِ لم يخلق نفسه، والثاني ولا يمكن أن يوجد دون ماذا؟ دون خالقٍ، لا يستطيع أحدٌ أن يقول: إنه خلق نفسه أعوذ بالله، أو يقول: وجد نفسه هكذا صدفةً، ولهذا لو خرجتم في رحلةٍ إلىٰ البرِّ وعثر أحدكم علىٰ قلمٍ، قلم سعره ريالٌ، وأخرج هذا القلمَ وقال: يا أخي هذا قلم في البرِّ ما الذي جاء به في هذا المكانِ، فقال أحد الحاضرين: يمكن عواملُ في الطبيعةِ تجمعت وتركَّب بعضها علىٰ بعضٍ وتكوَّن منها هذا القلم حتىٰ طلع هذا القلمُ، ماذا يُقال عنه؟ ماذا يُقال عمن يقول مثل هذا الكلام؟ لا يمكن أن يقول هذا مَن لديه ذرةُ عقلٍ.

هذا القلمُ انظر صناعته والشركة التي أنتجته اجتمعت عليه أعمالٌ وأدواتٌ وأشياء حتىٰ أُنتج هذا الشيءُ الصغيرُ، فكيف بهذا الكونِ العظيمِ الكبيرِ؟، جبير بن مطعم رضي الله عنه جاءَ إلىٰ المدينةِ ليكلِّم النبيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكان وقتها مشركًا في أسارىٰ بدر من المشركين، قال: وكان النبيَّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُصلي المغرب فسمعته يقرأ سورة الطور، وهو كافرٌ قبل أنْ يسلم رضي الله عنه ويحسنُ إسلامه، قال: فلما بلغ قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ

﴿الْخَالِقُونَ﴾ [الطُّور: ٣٥] كاد قلبي يطير، الله أكبر، أول ما بدأ الإيمان يدخل إلىٰ صدره حتىٰ يصل إلىٰ قلبه، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطُّور: ٣٥]؟ لا، إذًا النتيجةُ لا بدَّ أنْ يكون لهم خالقٌ وهو الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فننظر في ملكوتِ السماواتِ والأرضِ نعرف من خلالها أشياء، تأملوا، أولًا: خلقُ السماواتِ والأرض دليلٌ علىٰ البعثِ، أعطوني دليلًا يا إخوان شاركوني جزاكم الله خيرًا، الإخوان معنا إن شاء الله يا حمزة، أنا أخشىٰ أن أتكلمَ وبعض الإخوان، قالوا للقاضي إياس رحمه الله وكان من الأذكياءِ، ويُضرب به المثلُ في الذكاءِ في القضاءِ، قال: لكل إنسانٍ عيبٌ، قالوا: وما عيبك؟ قال: كثرةُ الكلام، سمة هذا الوقت كثرة الكلام، والله المستعان، ما تقولون؟ يعطيني واحدٌ منكم دليلًا.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، أدلة البعث في القرآن كثيرةٌ أشهرها ثلاثةٌ: منها خلقُ السماواتِ والأرضِ، ومنها خلقُ الإنسانِ نفسه، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]، الثالثُ: إحياءُ الأرضِ بعد موتها، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَىٰ الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ٣٩]، ثلاثةُ أدلةٍ عقليةٍ، مَن عنده عقلٌ يقتنع بمجردِ ما ينظر في دليلٍ واحدٍ منها إذا كان يطلب الحقَّ، هذه فائدةٌ من التأملِ في خلقِ السماواتِ والأرضِ، الفائدةُ الثانيةُ: أيضًا التأملُ فيها، وما فيها من الإحكامِ والإبداعِ والإتقانِ، يجعلُ العبدَ يعظِّم ربَّه، ويعرف أنه الحكمُ الحكيمُ العظيمُ المستحقُّ للتعظيمِ

والإجلالِ والعبادةِ دونما سواه، تخرج للبرِّ في الجوِّ الصافي ترفع رأسك تنظر من الكواكبِ ما ترىٰ، ولا ترىٰ إلا القليل.

لو نظر واحدٌ منكم في مجهرٍ يمكن أول مرة يُصاب بدوار، شيءٌ عجيبٌ مما في السماواتِ في هذه الأفلاكِ تدور بنظامٍ وانتظامٍ وإحكامٍ، لا تتصادم، لا تتغيَّر، لا تتبدَّل، كل هذا يدلُّ علىٰ أن الخالقَ واحدٌ والمالك واحدٌ والمدبر واحدٌ، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ما يمكن، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، أيضًا ما فيها من المنافعِ، السماواتُ والأرضُ فيها منافعُ للخلقِ عظيمةٌ يا إخوان، كم في البحار والبراري وفي الأجواء والسبح والأمطارِ والخير، كله خيرٌ يا إخوان في هذه الدنيا، في أرضه وسماواته سبحانه وبحمده، فما فيها من المنافعِ يُعرِّف الإنسانَ بنعمة ربه وفضله سبحانه وتعالىٰ ومنَّته عليه فيوجب له شكره والثناءُ عليه وتوحيده، فإذا لم يوحِّده كيف يكون شاكرًا؟! ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلاق: ١٢]، الذي خلق السماواتِ والأرضَ وما بينهما قادرٌ علىٰ كلِّ شيءٍ، وعالمٌ بكل شيءٍ، كيف لا يكون عالمًا وهو خالقه؟ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

يقول: ما فيها من التخصيصاتِ يدلُّ علىٰ إرادته سبحانه وبحمده، البحارُ فيها كذا، والجبالُ فيها كذا، والأوديةُ فيها كذا، والسماءُ فيها كذا، وكلُّ شيءٍ فيه ما يخصُّه يدلُّ علىٰ نفوذ إرادته، وأنَّه الفعَّال لما يريد سبحانه، وأنَّه إذا أراد شيئًا قال له: كن

فيكون، فكلما تأملَ الإنسانُ وتفكَّر ونظر فيها وتأمَّل كلما ازداد إيمانه ويقينه بربه، ولهذا يُنصح الناسُ ويُوجهون في هذه الأزمنةِ إلىٰ التفكرِ في مخلوقات الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وسنحت الفرصةُ الآن للناس في وقت ما كان موجودًا، تستطيع بجهازك الذي إذا شئت جعلته عابسًا، وإن شئت جعلت نفسك معه جادًّا، أنْ تسير في الغابات، وتسير في القفارِ، وتنظر في آيات الله وفي مخلوقاته متفكِّرًا متعجبًا، ثم يهدي ذلك الإنسان إلىٰ الإيمانِ بربه سبحانه وبحمده.

أحسن الله إليكم

(القاعدةُ الثامنةُ والخمسون: إذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصفات الكاملة أراهم نقصها في غيرهم من المستعدِّين للكمال).

يعني إذا أراد بيانَ كمالِ أنبيائه أظهرَ النقصَ في أعدائه، ضرب المؤلف عندنا عدةَ أمثلةٍ، المثالُ الأول في الأب، أبينا آدم عليه السلام، لما أراد الله بيانَ فضله في العلم علَّمه أسماء، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [البقرة: ٣١-٣٤]، فلما ظهر فضل آدم عليهم بالعلم أُمِروا ماذا يا إخوان؟ أن يسجدوا له سجودَ تحيةٍ، فظهر فضلُ آدم في العلمِ علىٰ الملائكةِ لمَّا أراد الله بيان فضله عليهم في هذا الأمر.

يوسف عليه السَّلام لما حصلت له المحنةُ، وتعرَّض للفتنةِ فعصمه الله وحفظه؛ لأنَّه من عباده المخلَصين، وأودع السجنَ وبقيَ في السجن بضعَ سنين، لما أراد الله له العزةَ والتمكين أرىٰ الملكَ تلك الرؤيا لما قال: ﴿إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۞ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ [يوسف: ٤٣، ٤٤]، هذه تخاليطُ أحلامٍ، ما قالوا: لا نعرف، قالوا: أضغاثُ أحلامٍ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]، ثم تذكَّر الذي خرج والذي كان مع يوسف في السِّجن، ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، ما الأمَّةُ؟ الزمنُ، بعد أمَّةٍ أي: بعد زمنٍ، لا تظنُّ أنَّ الأمَّةَ جماعةٌ، بعد أمَّةٍ أي: قطعةٌ من الزمنِ، ثم جاء إلىٰ يوسف فعرض عليه الرؤيا، ما قال: رؤيا يوسف حصل كذا وكذا، أعطاه مباشرةً الفتوىٰ، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ [يوسف: ٤٧] إلىٰ آخره، ثم لما عبر ذلك التعبيرَ العجيبَ، قال الملكُ مباشرةً: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠]، هذا ما يستحقُّ أنْ يبقىٰ، هذا لا بد أنْ يخرج، فأظهر الله كمالَه بعد أنْ أظهر ماذا يا إخوان؟ نقصَ غيره، لو كان الذين عرض عليهم الملكُ وطلبَ التعبير لو كان عبَّروا هل كان يحصل ليوسف شيءٌ؟ ما يحصل له شيءٌ، يبقىٰ في مكانه، فأظهر الله كماله بإظهار نقص غيره.

موسىٰ عليه السلام لما جاء بتسع آياتٍ إلىٰ فرعون، وأولاها اليد والعصا، وقال فرعون: هذا سحرٌ، وآتيك بالسحرةِ، بكل ساحرٍ عليمٍ، وجمع السحرةَ وأتىٰ بكلِّ من عنده، ثم جاؤوا إلىٰ موسىٰ وقالوا: ﴿يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف:

[١١٥/١١٦]، حتىٰ موسىٰ خافَ، ولما خافَ موسىٰ عليه السلام، ﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [طه: ٦٨،٦٩]، فلما ألقىٰ موسىٰ عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨]، فكان أولَ من آمن من هم؟ السحرةُ أنفسهم، أولُ من آمن به السحرةُ أنفسهم، فأظهر الله كمالَ ما جاء به موسىٰ عليه السلام وصدقه فيما جاء به لما بطل كيدُ السحرِ الذي جاء به السحرةُ، فأظهر الله كمالَ دعوته وصدقَ رسالته بالفشلِ الذريعِ الذي لحق فرعون، ولهذا ماذا قال فرعون؟ قال: إنَّه لكبيركم الذي أنتم متفقون معه، هو الذي علَّمكم السحرَ وتمالأتم عليه، لجأ إلىٰ التقطيع والقتل.

محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما أمره الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنْ يهاجرَ، وخرج، ولم يخرج معه إلا أبو بكر، أجلبت عليه قريشٌ بخيلها ورَجْلِها، وجعلوا مائة من الإبل لأي شخصٍ يأتي به حيًّا أو ميتًا، خرج من مكة ودخلَ في غارِ ثورٍ في مكة، ومرَّ المشركون حتىٰ قال أبو بكر: لو أنَّ أحدهم نظرَ إلىٰ قدمه لرآنا، أنزل رأسه قليلًا، فقط، فقال عليه السلام: «ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما»، الله أكبر، هذه فائدةُ وثمرةُ توحيد الله، «لا تحزن إنَّ الله معنا، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما»، فخرجوا ومروا بهم وما شعروا به ولا علموا به، فخرج، ورآه سراقة بن مالك في قصته المعروفةِ، وتابعه، وكلما اقترب ساخت قدم فرسه إلىٰ أن أعطاه الأمانَ وقال: عمِّ عني الأخبار، كان يريد أن يأخذهم حتىٰ يظفر بمائة بعيرٍ، ثم رجع منافحًا مدافعًا عنهم يبعد الناسَ، وكل من راح قال: هذا الطريق ليس فيه أحدٌ، لا تتعب نفسك، ولا تسلك هذا الطريق، أظهر الله محمدًا ونصره إذ لم ينصره أحدٌ من البشر، ووجه اللوم إلىٰ أهل الأرض

كلهم خلا أبا بكر رضي الله عنه، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فظهر فضله بعجز قريش، ومن انتدبت، وكلُّ من كان حول مكة من حلفائها، عجزوا أن يظفروا بمطلوبهم ومرادهم، فظهر كماله وفضله ودعوىٰ صدقه في دعوته في ضعفِ قريشٍ وعجزهم أن ينالوا مرادهم، وهكذا في كلِّ أمرٍ من الأمورِ إذا أراد الله إظهار كمال ذلك الشيءِ بيَّن النقصَ، خذوا مثلًا عندما يُصاب الإنسان بأمرٍ من الأمور وتضيق به الأحوال ويشتد عليه الكرب متىٰ يأتي الفرج؟ واعلم أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرج مع الصبر، إذا اشتد الكربُ جاء الفرجُ، ما الحكمة؟ حتىٰ تتذوق حلاوةَ الفرج، وتعرف كمال ما أنعم الله تعالىٰ عليك به من هذه النعمةِ العظمىٰ، عندما يأتي الفرج العظيم في وقت الكرب الشديد تكون لذته لا شكَّ أعظم، والبهجة والفرحة به ألذُّ، ولهذا مثل هذه الظروف التي تمر لا ينساها الإنسان أبدًا يا إخوان، وهذا من حكمه سبحانه وبحمده فيما يدبره ويقضيه علىٰ خلقه.

أحسن الله إليكم

(القاعدة التاسعة والخمسون: إنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقوم).

الله أكبر، ما أحلىٰ هذه القاعدة يا إخوان بارك الله فيكم، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، التي هي أقومُ من أي شيءٍ؟ هل ذكر الله شيئًا؟ هل ذكر متعلقًا؟ لا، وحَذْفُ المتعلقِ يدلُّ علىٰ العمومِ، هذه قاعدةٌ في التفسيرِ، قاعدةٌ تقدَّمت، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، يقول الشيخ: من العقائدِ والأخلاق والأعمالُ والسياساتُ والأحوالُ، كل شيء في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-،

فالقرآنُ أولًا أعظمُ سببٍ للهداية، اطلبوها من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وفي كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ثانيًا: أعظمُ سببٍ للثبات علىٰ الهداية، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ لماذا؟ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّحل: ١٠٢]، وهذه مسألةٌ موجودةٌ، وإنْ كان يؤكد عليها، اجعل لك من كتاب الله كل يوم وردًا، ما معنىٰ الوردُ؟ شاركوني يا إخوان؟ ما معنىٰ الورد؟

{...}

تقرأ من كتاب الله كل يوم قدرًا معينًا، لماذا سمي وردًا؟ يسمىٰ حزبًا ووردًا، لماذا سمِّي وردًا؟ لو أنَّ أحدَ الإخوانِ معه قطيعُ غنمٍ يرعىٰ به يحتاج إلىٰ ماذا؟ أن يردَ بها الماء؛ ليشرب وتشرب غنمه ودوابُّه، وأنت يا صاحب القرآن تحتاج أنْ تردَ علىٰ القرآن؛ لتُروي ظمأ ماذا يا إخوان؟ ظمأ قلبك، ولهذا شبَّه الله القرآنَ بالمطرِ في آياتٍ فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، ما الآية التي بعدها؟ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]، ما علاقةُ حياةِ القلبِ بالقرآنِ؟ هذه طريقةُ التفسير، انظر إلىٰ السياقِ الذي قبلها والذي بعدها؟ ما العلاقةُ بين إحياءِ الأرضِ بعد موتها والقرآنِ، أنْ تخشعَ قلوبهم، لدينا القرآنُ والقلوبُ ولدينا المطر والأرضُ ما العلاقة؟، هناك تشبيهٌ يسميه علماءُ اللغة تشبيهًا ضمنيًّا، حيث شبَّه ربُّنا -عَزَّ وَجَلَّ- ورودَ القرآنِ علىٰ القلوب وتأثيره فيها بنزولِ المطرِ علىٰ الأرضِ المجدبةِ وتأثيره فيها.

ولهذا كان من أوصافِ القرآنِ الدعاءُ المأثورُ، «أنْ تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا»، وجه تشبيهِ القرآنِ بالربيعِ، فصلُ الربيعِ يتسم بصفتين، ما هما؟ الربيعُ الحقيقيُّ، أولًا: اعتدال الجو، جوٌّ معتدلٌ، لا بردٌ ولا حرٌّ، ثانيًا: النباتاتُ والأزهارُ والأشجارُ والأطيارُ والأشياءُ الجميلةُ فيه، فكذا القرآنُ ربيعُ القلوب، ما يُورثه في القلب من راحةٍ وسكينةٍ وطمأنينةٍ، ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعد: ٢٨]، وما ينبته في القلوبِ يا إخوان من معاني الإيمانِ واليقين وأنواعِ المعارفِ والعلوم، أيضًا، ولهذا شُبَّه بالغيثِ كما في هذه الآيةِ، ذكر لي أحد أساتذتنا يرحمه الله يقول: كان في بلادهم رجلٌ غير مسلمٍ، نصرانيٌّ، وكان ذا مكانةٍ عند قومه، وكان يتردد بين بلده وبين إحدىٰ بلاد النصارىٰ، وفي يومٍ من الأيامِ ذكره باسمه، نزل وركب تاكسي، سيارةً، وكان مع صاحبِ السيارةِ الأجرةِ قارئٌ يقرأ في الإذاعةِ وتسجيلٌ، هذا الكلام قديم، فمرَّ علىٰ قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

رجلٌ من الدعاةِ إلىٰ دينه، قسيسٌ أو لما كان، فاستوقفته الآية، قال: هؤلاء الجن يقولون عن القرآن هكذا، ونحن بني البشر لا نريد أن نسمع حتىٰ، قال: فما هو إلا أن منَّ الله عليه بالهدايةِ وأسلم، بسببِ ماذا يا إخوان؟ آيةٌ، والله آيةٌ تغير حياةَ بشرٍ، تغير حياةَ بشرٍ، آيةٌ من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لو قرأنا القرآنَ وتأملنا ما فيه وتدبرنا، فرقٌ بين موعظةٍ يقولها واحدٌ من الناس صادرةً عنه، وبين موعظةٍ تأتي من ربِّ الناسِ، شتان بين هذه وهذه، فعظوا قلوبكم في القرآنِ فهو أعظمُ موعظةٍ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ

جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦، ٥٧]، الفرحُ، العالُم ينشدون الفرحَ، ويقولون: هذا الفرحُ العظيمُ والفرحُ الكبيرُ والحقيقيُّ، القرآنُ إذًا يهدي للتي هي أقومُ في العقائدِ، في الأخلاقِ، لما سُئلت عائشةُ رضي الله عنها عن خلق رسول الله ماذا قالت؟ كان خلقه القرآن، يقول السائلُ وهو شابٌّ سعد بن هشام بن عمار، له قصة في مسلمٍ جميلةٌ يحسن للشباب أن يطَّلعوا عليها حقيقةً، يقول: كدت ألا أسألها عن شيءٍ، أعطتني كلَّ شيءٍ، كان خلقه القرآن، إذًا ارجع إلىٰ القرآن ترىٰ فيه أخلاقَ المصطفىٰ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وترىٰ الأخلاقَ الرفيعةَ والصفاتِ العاليةَ والخلالَ الزكية، ثَمَّ في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والآيةُ عظيمةٌ، فتأملوها وتدبروها بارك الله فيكم.

أحسن الله إليكم

(القاعدةُ الستون من قواعد التعليم التي أرشد الله إليه في كتابه: أنَّ القصصَ المبسوطةَ يجملها في كلماتٍ يسيرةٍ ثم يبسطها، والأمورَ المهمةَ يتنقل في تقريرها نفيًا وإثباتًا من درجةٍ إلىٰ أعلىٰ أو أنزلَ منها).

يعني من طرقِ القرآنِ الكريمِ أنَّ المعلومةَ لا تأتي دفعةً واحدةً، وإنَّما تأتي بمقدماتٍ، فالقصص مثلًا تأتي مجملةً في أول الأمر، ثم يأتي التفصيلُ، اقرأوا أول يوسف ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، أعطاك زُبدةَ هذه القصةِ بأكملها، ثم جاء تفصيلُ القصةِ بكلِّ مراحلها، في قصةِ أيضًا موسىٰ عليه السلام قال: ﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ١-٣]، نتلو عليك بالحقِّ، ولقومٍ يؤمنون، ثم أتت القصة، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤]، في قصة أيضًا أصحابِ الكهفِ، ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، ثم قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣]، وبعدها بدأت القصةُ، ما الفائدةُ من مجيءِ الشيءِ مجملًا ثم مفصَّلًا، الآن لو يأتي معلمٌ إلىٰ طلابه ويقول: معي هديةٌ ويضعها، ويقول: من يجيب أعطيه إياه، أو يقول: معي هديةٌ في جيبي من يجيب أعطيه إياها، أيهما أكثرُ تشويقًا يا إخوان، لا شكَّ المخبأةُ، فالإجمالُ يشوِّق النفوسَ، يجعل النفوسَ تتشوقُ، ثم تأتي هذه القصةُ والنفوسُ مشتاقةٌ إليها، فيكون إدراكُ الإنسانِ وفهمه وتأثره واستفادته منها لا شكَّ أكثر، ثم يقول بقيةُ القاعدةِ جميلةٌ أعطوني إياها.

الشقُّ الثاني من القاعدة:

(والأمور المهمة يتنقل في تقريرها نفيًا أو إثباتًا من درجةٍ إلىٰ أعلىٰ أو أنزلَ منها).

الأمورُ المهمةُ يتنقل ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- في تقريرها نفيًا أو إثباتًا صعودًا أو نزولًا، ما تأتي دفعةً واحدةً، وإنما تأتي بالتدرجِ، أورد المؤلفُ عدةَ أمثلةٍ حقيقةٍ، لكن سنذكر بعضَ الأمثلةِ وربما مثالًا أو مثالين لم يذكرا، من الأمثلةِ قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الكهف: ٤، ٥]، وصفهم بعدمِ الجهلِ، اثنان: ﴿وَلا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، هذه أشدُّ من الأول، أعظمُ، انظر التدرج، ثلاثة: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، هذا الحكمُ الأخيرُ أنهىٰ الأمرَ، (إنْ يقولون)، ما يقولون (إلا كذبًا)، أيضًا قال عن المشركين، ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النَّمل: ٦٥]، يعني ما يشعرون بالقيامةِ ولا يؤمنون بها، قال: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ في الآخرة﴾ [النَّمل: ٦٦]، يعني ضعفَ علمهم بالقيامةِ فقط؟ انزلوا قليلًا، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ [النَّمل: ٦٦]، الأول ضعفٌ، نزل الضعفُ واشتدَّ إلىٰ أنْ وصل إلىٰ الشكِّ، ثلاثةٌ: ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النَّمل: ٦٦]، وهو أشدُّ الضلالِ والتخبطِ، إذًا وصفهم بضعفِ العلمِ، ثم وصفهم بالشكِّ، ثم وصفهم بأيِّ شيءٍ؟ بالعلمِ، يوجد تدرجٌ، تدرجُ نزولٍ أو صعود؟ نزول.

لكن بين يدي آيةٍ يا إخوان ما ذكرها الشيخ هنا، ويذكرها العلماء عادةً في التوحيد عظيمةٌ تأملوها واعرضوها علىٰ كلِّ مرتابٍ متشككٍ في توحيدِ ربه، فما أحوج المسلمين إلىٰ تربيتهم في عقائدهم، فصَّلنا كثيرًا في تفصيل العامة، وأهل البدعِ والزيغِ والضلالِ يعملون جُهدهم، ليلَهم ونهارَهم في إغواءِ العامةِ وأكلِ أموالهم بالباطلِ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، وليتهم اكتفَوا بهذا، ماذا بعدها؟ ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التَّوبة: ٣٤]، في مقارعته للمشركين وردِّه علىٰ المرتابين بتوحيدِ ربِّ العالمين يقول -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]، هذه خمسُ درجاتٍ، تنقَّل فيها ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- في الردِّ علىٰ المشركين درجةً بعدَ درجةٍ، فقال: ادعوا هؤلاء الذين تزعمونهم من دون الله، ملائكةٌ، أنبياء، أشجارٌ، أولياء، إلىٰ آخره، ادعوهم من دونِ الله، فهم أولًا: لا يملكون

مثقالَ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، لا يملك التصرفَ في مثقالِ ذرةٍ بمحضِ اختياره وتصرفه، فقط؟ انزلوا قليلًا، {وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ}، يعني هو ما يملك، وأيضًا لا يُشارك حتىٰ في الملك، أيهما أضعف؟ الملكُ أو المشاركةُ؟ المشاركة.

ثلاثةٌ: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾، ما معنىٰ ظهيرٍ؟ ظهيرٌ يعني (معينٌ)، إذًا هو لا يملك، ولا ما هو أقلُّ من ذلك وهو المشاركةُ، ولا ما هو أقلُّ من المشاركةِ وهو الإعانةُ، فهو لا يملك مع الله، ولا يُشارك الله، ولا يُعين الله -عَزَّ وَجَلَّ-، رابعًا: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ إِذَا لَهُ﴾، لا يشفعُ إلىٰ الله، وعند الله في أحدٍ من خلقِ الله إلا بإذنِ الله، حتىٰ لو مَلَكًا؟ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النَّجم: ٢٦]، والمصطفىٰ عندما يشفع يوم القيامةِ يُقال له: ارفع رأسك، وقلْ يُسمع، وسلْ تُعطَ، واشفعْ تُشفَّع، لا يشفع حتىٰ يأذن الله له سبحانه وبحمده، وصلواتُ ربي وسلامه عليه، فإذا كانوا لا يملكون ولا يشاركون ولا يُعينون علىٰ الملك، ولا يشفعون عند الملك سبحانه إلا بإذنه فهل يستحقون من العبادةِ شيئًا؟ هل يستحقون شيئًا يا إخوان؟ كيف يُعبد وهو بهذه المثابةِ؟

بل قال الله عنهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣]، وهذا في الملائكةِ، في الملائكةِ، إذا قضىٰ الله الأمرَ في السماءِ ضربت الملائكةُ بأجنحتها خضعانًا لقوله، حتىٰ إذا فُزِّع، حتىٰ إذا سُمع ذلك في السماءِ صعقوا وخرُّوا لله سجدًا، فإذا سمعوا كلام الله صعقوا وخرُّوا سجدًا فكيف إذًا يدعون ويعبدون مع الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولهذا يقول العلماءُ: إن هذه الآيةَ تقطع جذورَ شجرةِ الشركِ من القلبِ، عندما تتأملُ

هذه الآيةَ ما يبقىٰ في قلبِ مؤمنٍ عرقٌ واحدٌ يلتفت فيه إلىٰ غيرِ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، عبادةً وتألهًا ودعاءً وما هو من أنواعِ العبادات عمومًا، هل هي واضحةٌ الآيةُ يا إخوان؟ واضحةٌ أو لا؟ واضحٌ التدرجُ فيها؟ التنقلُ في نفي العبادةِ عما سوىٰ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهذه الطريقةِ العظيمةِ، فقُطعت شجرةُ الشركِ، فروعها، وجذعها، وعروقها، فلم يبقَ يا إخوان ولله الحمدُ في قلبِ الموحدِ منها عرقٌ، ولكن غير الموحد -عياذًا بالله- تجد قلبه متعلقًا بغيرِ الله ملتفتًا إلىٰ غير الله، تقول: احلف بالله يحلفُ كاذبًا ولا يبالي، تقول: احلف بالولي أو بالسيدِ أو كذا وكذا لا يمكن أن يحلف كاذبًا، هذا يحصلُ أو لا؟ يحصلُ هذا بين من بين أيديهم كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والله المستعان حتىٰ يعتقدوا أن للأولياءِ والسادةَ شيئًا.

سمعنا فتاوىٰ، وأرسل للشيخ ابن باز تعجبٌ، تأتي من بلادٍ ليست بعيدةً حتىٰ، هذا إمامٌ يصلي بهم ويغيب عنهم أيامًا ثم يخرج إليهم، يصوم يومًا ويفطر يومًا ويفعلُ ويفعلُ، ثم يختبئ عنهم أيامًا ثم يخرج إليهم ويقول: إنَّه يتصرَّفُ في الكون، وإنَّه يُوحىٰ إليه، هذا إمامُ مسجدٍ، نعوذ بالله، هكذا من حادَ عن الكتابِ والسنةِ، ولهذا قال الليث ابن سعد والشافعي: إذا رأيتم الرجلَ يطير في الهواء ويمشي علىٰ الماءِ فلا تصدقوه حتىٰ تعرضوا حاله علىٰ كتابِ الله وسنة رسوله -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، هل هي كراماتٌ أو شعوذةٌ وسحرٌ؟ صاحب الكرامةِ يخشىٰ منها ويخاف، ويُخفيها حتىٰ عن الناسِ.

الآيةُ الثانيةُ آيةٌ جليلةٌ عظيمةٌ فيها تدرُّجٌ وصعودٌ في العبوديةِ لله -عَزَّ وَجَلَّ-، ويقول تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝ لا

﴿شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، قلْ يا محمد والخطابُ له ولأمَّته، قلْ: إنَّ صلاتي.

ثانيًا: النُسكُ جميعُ العباداتِ، ومنه الذبحُ، جميعُ العباداتِ، إذًا النُسكُ أعلىٰ أم الصلاةُ؟ النُسكُ أعمُّ، النُسكُ يشمل جميعَ العبادات، ثلاثة: ومحيايَ، معنىٰ محيايَ كلُّ ما آتيه في حياتي لله -عَزَّ وَجَلَّ-، أعمُّ ولا أخصُّ؟ أعمُّ، ومماتي إلىٰ الموتِ وأنا بهذه المثابةِ، أي: ما أموت عليه من الإيمانِ والعملِ الصالحِ كلُّه خالصٌ لله لا شريكَ له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

إذن صلاته لله، اثنان: أعمُّ من الصلاة النُسكُ، ثلاثة: أعمُّ من النُسكِ جميعُ ما يأتيه في حياته، أخيرًا: مماته لله الترقي في العبودية والتذلل لله سبحانه وتعالىٰ، اللهم اجعل صلاتنا ونُسكنا ومحيانا ومماتنا لك وحدك لا شريك له يا أرحم الراحمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

{بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: (القاعدة الحادية والستون: معرفة الأوقات وضبطها، حثَّ الله عليه؛ حيث يترتب عليه حكم عام أو حكم خاص).

بالنسبة للأوقات -يا إخوان- معرفتها مهمة؛ ولهذا بيَّن ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- الحكمة من الأهلَّة في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، والأهلة: جمع هلال،

والهلال معروف، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فعمَّم أولًا، قال: مواقيت للناس، مواقيت للناس في عباداتهم، في تجاراتهم، في حروثهم، في كل أحوالهم وشؤونهم، كما قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، ثم قال: والحج، أفرد الحج، فمعرفة الناس الأوقات ومعرفة الأهلة أيضًا ينبغي أن يُعتنىٰ بها ويُحرص عليها، ويكون لطالب العلم إلمام ومعرفة بها؛ حيث رتَّب علىٰ هذه المعرفة أحكامًا في الصلاة، مثلًا يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، يعني كتابًا فرضًا، موقوتًا مُوَقتًا بوقتٍ، فكيف نعرف هذه الأوقات؟

في الزكاة قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، في الصيام قال: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، في الحج كهذه الآية، وإنما خُصَّ الحج هنا وعطفه علىٰ ما تقدم من عطف الخاص علىٰ العام؛ لأن في الحج أوقات عامة وأوقات خاصة يحتاج إلىٰ ضبط المواقيت فيه؛ حيث لو تقدم الإنسان أو تأخر أخلَّ في حجه ولا شك، كذلك في أمور الناس، في التجارات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وفي العدد قال تعالىٰ: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١]، وما أشبه ذلك، هناك أمر مهم جدًّا في الوقت، وهو المحافظة عليه، أنت تعرف الوقت لكي تحافظ عليه، أنت تعرف أن ما مضىٰ من الوقت لا يعود أبدًا، وما أسرع ما ينفرط الوقت علىٰ الإنسان لا سيما الشباب، الشباب زهرة العمر، فإذا ذبُلت الزهرة يوظفها صاحبها فيما يفيد، فلم

يشم عبقها، ولم يتلذذ برائحتها، فلا شك أنه يفوت عليه الشيء الكثير، فاغتنموا الشباب.

الشافعي يقول: ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبِّر عليه أربعًا لوفاته، اعتبره ميتًا، والعلم في الجملة إلىٰ أربعين سنة تقريبًا والإنسان يحصل ويحفظ بعد الأربعين وأقول هذا ليس لكل الناس، أدركنا بعض مشايخنا من جاوز السبعين وهو في غاية توقده ونشاطه الذهني، لكن الغالب وبعد الأربعين يبدأ الضعف في الإنسان شيئًا فشيئًا، لا يشعر بهذا الضعف أول الأمر، لكن كل ما تقدم به السن كلما بدأ يشعر به، وبدأ ينسىٰ كثيرًا، وهو يحفظ ببطء، ويكابد في أن يحافظ علىٰ ما حصَّله في سن شبابه، فاحرصوا -يا إخوان- علىٰ الوقت فالوقت ثمين، وانظروا الآن مضىٰ خمس أو عشر دقائق هل يمكن أن يعود منها لحظة واحدة، أورد ابن كثير بيتًا لبعض من تقدم رحمهم الله كالمعجب به قال: ما مضىٰ فات، والمؤمل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها، هذه حياة الإنسان، ما مضىٰ فات انتهىٰ، والمؤمل غيب، المستقبل غيب، لا تدري كم بقي لك من الدنيا، ولك اللحظة التي أنت فيها بين يديك، والله المستعان، وقيل: والوقت أهون ما عُنيت بحفظه، وأراه أهون ما عليك يضيع، يسمىٰ تضييع الأوقات، ولهذا قال ربنا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، أمره منفرط ضائع، أوقاته ضائعة، لا يحصل ولا يستفيد منها شيئًا، فمثل هذا إن لم يستفد في سن شبابه، فهل يفيد بعد مشيبه وكبره والناس يتوقعون منه أن يتعلم ويعلم.

(القاعدة الثانية والستون: الصبر أكبر عون علىٰ كل الأمور، والإحاطة بالشيء علمًا وخبرًا هو الذي يعين علىٰ الصبر).

الصبر عظيم، وأعظم ما يعين الإنسان في نيل مراده ومطلوبه؛ ولهذا قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، نستعين علىٰ ماذا؟ نستعين بالصبر، لكن نستعين به علىٰ أي شيء؟ علىٰ كل أمورك وأحوالك، وهذه فائدة حذف المتعلق، وحذف المتعلق يدل علىٰ العموم.

وتعرفون أن الصبر ثلاثة أنواع: الصبر علىٰ طاعة الله وهو أشدها، والصبر عن معصيته، والصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة، ومما يعين علىٰ الصبر يقول المؤلف رحمه الله: إحاطة الإنسان علمًا بالشيء الذي يصبر عليه، فالطاعة يعرف ثمرتها، يعرف نتيجتها، يعرف ثوابها، وكلما فترت همته في طاعة ربه يتذكر ما يفوته من الخير، وما يحصل له من ضده ولا قوة إلا بالله، كذلك المعصية أيضًا إذا علم بالمعصية وبآثارها، وشرها وضررها علىٰ قلبه وعلىٰ نفسه، وأنه كلما وقع في ذنبٍ كلما ابتعد عن ربه، وهكذا يظل يرجع ويتقهقر ويتقهقر، ولا يدري في أي حفرة أو وادٍ سحيق يقع، الصبر علىٰ الأقدار أيضًا يعرف الإنسان ثمرته، ويحمد ربه علىٰ كل ما يعرضه في هذه الدنيا، ويعلم أن لله حكمًا وأسرارًا فيما يدبره ويقضيه، فقد يدبر عليك أمرًا تكرهه وهو خير لك، حتىٰ إن السلف يرون في المحن منحًا، وفي المصائب مننًا.

يقول ابن عمر كلمة جميلة: ما أصبت بمصيبة إلا ولله علي فيها أربع نعم، المصيبة يعتبرها نعمة؛ إذ لم تكن في ديني، وإذ لم تكن أشد منها، وإذ أرجو ثوابها، وإذ وُفِّقت للصبر عليها، هذه الأربع نعم ما هي نعم يا إخوان؟ كلها نعم من الله -عَزَّ

وَجَلَّ-، إذا عرض للإنسان عارض تذكر هذه الأمور، وأن دينه وهو رأس ماله إذا سلم فما عداه له عوض، رأس مال الإنسان دينه ألا يصاب بشيء، ولهذا أعظم المصائب وأشدها: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧]، هذه المصيبة، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، مصيبة الذنوب هي المصيبة، وأما ما عداها فالإنسان فيها بين أن يصبر فيؤجر، وبين أن يترقىٰ من الصبر إلىٰ الرضا فيرضىٰ، ويترقىٰ من الرضا إلىٰ الشكر وهو أعلىٰ مقامات الإنسان عند المصائب، فإن الإنسان عند المصائب؛ إما أن يجزع حفظنا الله وإياكم، وهذا مسكين، لا يرد من الأمر شيء، الثانية: أن يصبر والصبر واجب، الثالثة: أو يرضىٰ والرضا مسنون، الرابع وهو أعلاها: أن يشكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- علىٰ ما عرض له من أمور الدنيا، ويعلم أن ما عند الله خير وأبقىٰ من الدنيا وما فيها.

فكون الإنسان يعرف الشيء الذي يصبر عليه، لا شك هذا يريحه كثيرًا، والعلم الذي أنتم بصدده يحتاج إلىٰ صبر وصبر وصبر، وإذا رأيت أن الله فتح لك هذا الباب فاحرص عليه وتمسك به وعض عليه بالنواجذ، فهو علامة أن الله أراد بالعبد الخير، «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»، وهو الطريق إلىٰ الجنة، «من سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة»، ومن بورك له في شيء فليلزمه، قاله عمر رضي الله عنه: ما يكون الإنسان نقال، اليوم كذا وغدًا كذا، لا،لا، إذا رأىٰ أن الله بارك له في أمر من الأمور فليتمسك به وليلزمه وليحرص عليه.

(القاعدة الثالثة والستون: يرشد القرآن إلىٰ أن العبرة بحسن حال الإنسان إيمانُه وعملُه الصالح، وأن الاستدلال علىٰ ذلك بالدعاوَىٰ المجردة، أو بإعطاء الله للعبد من الدنيا أو بالرِّياسات، كل ذلك من طرق المنحرفين).

العبرة بحال الإنسان أمور في نظر الناس:

الأمر الأول: إيمانه، والعمل الصالح.

الأمر الثاني: الدنيا والأموال والجاه وما يتبع ذلك.

الأمر الثالث يدَّعيه بعض المنحرفين من المنتسبين إلىٰ الديانة أو العلم، وهو زعمه الولاية، وتوظيف ما يدعيه في إغواء الناس وإضلالهم وأكل أموالهم بالباطل، فالمُعتَبَر في حسن حال الإنسان ما هو؟ هو إيمانه وعمله الصالح، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٥٥]، ويوم افتخر اليهود والنصارىٰ بأنفسهم وزعموا أنهم أهل الجنة ولا يدخلها غيرهم قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ثم جاء الجواب، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]، يدخل الجنة من أسلم وجهه لله وهو محسن، هؤلاء أهل الجنة، لا نَسب ولا حَسب ولا مال ولا جاه، وإنما إيمان وأعمال صالحة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧/ ٨٨].

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣]، الخطاب موجَّه للمسلمين، مسلم ويهودي اختلفا، اليهودي يفضِّل موسىٰ والمسلم يفضِّل محمدًا -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلطمَه المسلم فاشتكاه للنبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فنزلت: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣]، ليس الأمر مجرد أماني تتمناها أنت ويتمناها غيرك، وإنما الأمر ما هو؟ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، وبعدها ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: ١٢٤]، فهناك محكٌّ واختبار، وهو العمل وليس الدَّعاوَىٰ المجردة أيًّا كان من يدَّعيها؛ ولهذا ألغىٰ الإسلام هذه الفروق التي يدعيها الناس ويتفاخر بها بعضهم علىٰ بعض، فلا لون، ولا جنس، ولا عِرق، ولا لغة، وإنما ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، إذا تفاخرتم بالأنساب فالنسب واحد، كل الناس يرجعون إلىٰ من؟ كل الناس إخوة في النسب، في النسب إخوة، إلىٰ آدم وحواء، الأبيض والأحمر والأسمر، كلهم يرجعون إلىٰ آدم وحواء، وقسمهم الله وجعلهم شعوبًا وقبائل لمجرد التعارف فقط، يعرف أن هذا من بني فلان، وهذا من بني فلان، أما أن يفتخر فلا محلَّ للافتخار بهذا الأمر، وإنما العزُّ الذي يعتز به المسلم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، أيًّا كان فهو الأكرم عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فالعبرة بحال الإنسان دينه وإيمانه وتوحيده، لا ما يدعيه الأدعياء من أشياء يزعمون لأنفسهم فضلًا ورفعةً بها علىٰ الآخرين.

(القاعدة الرابعة والستون: الأمور العارضة التي لا قرار لها بسبب المزعجات أو الشبهات قد ترد علىٰ الحق والأمور اليقينية، ولكن سرعان ما تضمحل وتزول).

هناك أمور عارضة تعرض للإنسان، وتعرض علىٰ ثوابته العظيمة، ولكن سرعان ما تندحر وتنهزم وتزول أمام الحق والإيمان؛ ولهذا اشتكىٰ الصحابة إلىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الأمر فقالوا: إن أحدنا يجد الشيء يتعاظم أن يتحدث فيه، وفي رواية: إلا أن يكون حممة يعني "فحم"، أن يكون حممة خير من أن يتحدث فيه، قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم، قال: «ذلك صريح الإيمان»، صريح الإيمان كون هذا الشيء يعرض ويندحِر ويذهب ويزول، هذه الأوهام، هذه الشكوك، هذه الأشياء، هذه الظنون تعرض بسبب المزعجات التي تعرِض للإنسان، لكن سرعان ما تزول وتتبدد بصريح الإيمان واليقين الذي يدحضها ويفرقها، ذكر المؤلف لهذه القاعدة أمثلة حقيقة، وأمثلة دقيقة جدًّا، وبين رحمه الله أن من لم يحسنها ربما يحصل منه شيء في فهم كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فذكر أو أشار إلىٰ قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال هنا: متىٰ نصرُ الله، ليس استبعادًا للنصر لا، حاشا، ولكن كالاستبطاء له، متىٰ يأتي النصر؟ فلما ضاقت الأمور، واشتدت الأحوال، وجاءت هذه المزعجات حصل في النفوس شيء، وأرادوا تعجيل الفرج، فقال الله: ألا إن نصر الله قريب، فتزول هذه الأمور وتندحر وتنتهي، وأورد إذًا قوله -عَزَّ وَجَلَّ- في آخر سورة يوسف: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]، وهذا شاهِد لما سبق في بعض القواعد أن الفرج يأتي مع شدة الكرب؛ ليتبين عظم

هذا الفرج وأهميته، ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ [يوسف: ١١٠]، يعني حصل في نفوسهم شيء، وفي قراءة سبعية: وظنوا أنهم قد كُذِّبُوا، وهذه واضحة، يعني أيقنوا وظنُّوا اليقين أنهم قد كذبوا يعني قد كذَّبهم أقوامهم فجاء النصر بعد ذلك، وفي قراءة الجمهور: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ [يوسف: ١١٠] بالتخفيف، اختلف العلماء فيها، والشيخ عبد الرحمن يميل إلىٰ قول الحَبر، قول ابن عباس في الآية، وهو أنه حصل في نفوس الأنبياء شيء بسبب تأخر النصر، حتىٰ ظنوا أن من أخبرهم عن الله قد كذبهم، وكأن الشيخ يميل إلىٰ هذا ويرىٰ أن هذا الظن ما هو من العوارِض التي تعرض علىٰ اليقين، لا تؤثر في الإيمان ولا تؤثر في اليقين، وهي من جملة ما يعرض للنفوس ويحصل لها بسبب المزعجات.

والقول الثاني، ويميل إليه الشيخ محمد، وجمع من المفسرين أيضًا، وظنُّوا حتىٰ إذا استيئس، استيئسوا من النصر، تأخر النصر، وظنوا أنهم قد كُذِبوا، أي: أن أصحابهم الذين اتبعوهم وآمنوا بهم لم يكونوا صادقين في إيمانهم؛ إذ لو كانوا صادقين لجاء النصر، فظنوا هم في أتباعهم، وليس فيمن أخبرهم عن الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهذا قول الحسن، أيضًا من الأمثلة التي ذكرها الشيخ من هذه العوارض التي تعرض قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَىٰ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] إلىٰ آخر الآيات، وقصة هذه الآية المخرَّجة في الصحيح أن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يقرأ سورة النجم، وقرأها كما هي وسجد، وسجد معه

المسلمون والمشركون، إلا رجلًا شقيًّا أبَىٰ أن يسجد وأخذ حِفنةً من تراب فوضعها علىٰ جبينه، يقول الراوي: رأيته صريعًا يوم بدر.

لكن ورد في رواية قصة الغَرانيق، وقصة الغرانيق أن الشيطان ألقىٰ في قراءة النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٩،٢٠]، تلك الغَرانيق العُلىٰ، وإن شفاعتهن لتُرتجىٰ، قالوا: من أجل هذا سجد المشركون، واختلف العلماء -رَحِمَهم الله تعالىٰ- في هذه القصة برُمَّتها، وكأن الشيخ يميل إلىٰ أنها من هذا القبيل، يعني من العوارض التي تعرض علىٰ اليقين ثم تزول ولا تؤثر فيه، ولهذا قال -عَزَّ وَجَلَّ- في الآية: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢]، ثم قال: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣]، ثم قال بعدها: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]، وقد أنكر بعض العلماء هذه القصة إنكارًا شديدًا وقالوا: إنها من وضع الزنادقة، لكن الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر أنها وردت بثلاثة أسانيد مرسلة، والمرسل ما هو؟ هو ما يرفعه التابعي للنبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو من أنواع الضعيف، ولكن ثبتت إلىٰ التابعين بثلاثة أسانيد مرسلة صحيحة إلىٰ التابعين؛ لهذا ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الشيطان حاكىٰ صوت النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أما رسول الله لا ولم ينطق، ما حفظه الله وعصمه به، لكنه حاكىٰ صوت النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وألقىٰ هذا الكلام في مسامع الناس، ومسامع المشركين، فظنوا أن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد قرأه.

هذا يقوله ابن عباس، ويميل إليه الشيخ محمد في التعليق علىٰ هذه القواعد، وهذا القول فيه مَخرج؛ لأن القول بأن النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قرأ هذه الكلمات، وسمعها الناس يُشكل علينا أن الله تعالىٰ عصم الأنبياء وحفظهم وحفظ وحيه، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨]، لم يتمكن الشيطان أبدًا من أن يسترقَ آية أو يختطفها بحالٍ من الأحوال، ولكن كان الشيطان يرىٰ أنها من هذا القبيل، وأنها من قبيل المزعجات التي ترد علىٰ الأمور اليقينية ولا تؤثر فيها، وسرعان ما تندحر وتزول، منها أيضًا والشيخ ذكر عدة أمثلة، لكن هناك مسألة أيضًا يعني الجميع، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقال عن الكفار: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، فالشياطين يتسلطون علىٰ الكفرة ويمدونهم بالغي ولا يقصرون: لا الشياطين تقصر في الإمداد، ولا إخوانهم يقصرون فيما يمدونهم به، وفي نشره، ودعوة الناس إليه، وأما الذين اتقوا فيحفظهم الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

إذا مسهم طائفٌ، طيفٌ طاف بهم من الشيطان تذكروا، تذكروا ماذا؟ أين المتعلق لتذكروا؟ محذوف، وإذا حُذف المتعلقُ يدلُّ علىٰ العموم، تذكروا الإيمان، تذكروا الرحمن، تذكروا طاعة الله، تذكروا الشيطان ونزغاته، تذكروا أمورًا وأمورًا عظيمة وكبيرة، فإذا هم مبصرون، فتندحر هذه الأوهام وتزول أمام قوة الإيمان واليقين والثبات والتُّقىٰ، وذكر عدة أمثلة، قوله تعالىٰ عن يونس: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، اعتبره الشيخ من الظنون العارضة التي لا تؤثر في الإيمان،

والمشهور عن المفسرين ظن ألن نقدر عليه؛ يعني ألن نُضيق عليه، وجعل منها قول لوط عليه السلام لمَّا جاءه قومُه، هذه الأمور المزعجة تضعه لا شك في حرج، ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، يقول: أنا غريب بينكم، وليس لي قبيلة آوي إليها، فقال عليه الصلاة والسلام: «رحم الله أخي لوطًا لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد»، من يقصد بالركن الشديد؟ ربنا -عَزَّ وَجَلَّ-، لكن لشدة الموقف ذهل لوط عليه السلام، وتمنىٰ أن لو كانت له قبيلة تنصره.

ولهذا النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما كَسَفت الشمس في حديث أبي موسىٰ خرج فزعًا يقول الراوي: يخشىٰ أن تكون الساعة، النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعلم أن الساعة لا تقوم إلا بمقدماتها وعلاماتها، فكيف غاب عن ذهنه هذا الشيء؟ بسبب المواقف، المواقف الشديدة المزعجة تُنسي الإنسان أشياء أحيانًا تكون معلومة لديه، لكن ما تلبث هذه الأمور إلا أن تزول، وهناك إيمان في القلب ويقين وثقة، ثقة للإنسان بدينه تتحطم عليها جميع هذه الأوهام والوساوس التي يقذف بها الشيطان، ومن أعظمها ما أنتم بصدده كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- قراءته والنظر فيه وتأمله يحفظ الله سبحانه وتعالىٰ به العبد من كيد الشيطان ومكرِه.

(القاعدة الخامسة والستون: قد أرشد القرآن إلىٰ منع الأمر المباح إذا كان يُفضي إلىٰ محرم أو تركِ واجب).

المباح من الأحكام التكليفية، متىٰ يكون مباحًا؟ إذا نظرت إليه بحد ذاته، ولكن إذا نظرت إليه باعتبار كونه وسيلة إلىٰ شيء فما حكمه؟ حكم ما جاءت الوسيلة إليه، فإن كان وسيلة إلىٰ حرام فهو حرام، وإن كان وسيلة إلىٰ واجب فهو واجب، وهلم

جرًّا، خذ مثلًا المشي ما حكمه؟ المشي مباح، لكن إلىٰ الصلاة واجب، إلىٰ معصية محرم، ذكر المؤلف بعض الأمثلة كقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ضربُ المرأة برجلها ضربٌ عادي ما فيه شيء، لكن إذا كان قصدها أن تُبدي خلخالَها وما في قدمها من الزينة أصبح محرمًا؛ لأننا نعتبره وسيلة إلىٰ شيء آخر، ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، نهىٰ الله تعالىٰ عن سب المشركين، مع أن سبهم قربة يتقرب بها الإنسان إلىٰ ربه -عَزَّ وَجَلَّ-، لماذا نُهي عنه؟ لأنه يؤدي إلىٰ مفسدة أشد وهي سب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فهذا يرجع إلىٰ قاعدة تزاحم المفاسد، ترك سبهم مفسدة، وسب الله -عَزَّ وَجَلَّ- مفسدة، وأيهما أشد؟ إذًا نرتكب أدنىٰ المفسدتين وترك مسبتهم إذا ترتب عليها ذنب.

(القاعدة السادسة والستون: من قواعد القرآن أنه يستدل بالأقوال والأفعال علىٰ ما صدرت عنه من الأخلاق والصفات).

يقول: قواعد القرآن، وهذا يبين أن الشيخ يذكر قواعد في التفسير، وقواعد مستنبطة من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- أنه يستدل بالأقوال والأفعال علىٰ ماذا؟ علىٰ أخلاق صاحبها وأعماله، ويذكر أن الكثير من الناس ينظر إلىٰ القول نظرًا مجردًا فقط، ويرىٰ أنك تنظر إلىٰ القول وإلىٰ قائله وإلىٰ ما صدر عنه ذلك القول، ومثَّل بقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين، هؤلاء يوصفون بأوصاف جليلة كبيرة عظيمة يا إخوان، قال الله في آخرها بعد ذلك:

﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، نسأل الله الكريم من فضله، فإذا خاطبه الجاهل ماذا يعمل؟ يقول: سلامًا يعني يقول: السلام عليكم؟ لا، إنما يقول قولًا سليمًا، يعرض عنه، يرد عليه بكلام ألطف وأحسن من كلامه، وهذه مسألة ليست سهلة يا إخوان، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

ذاتَ مرة سبَّ أحدٌ إنسانًا وقال: يا أخي الله يهديك، والله يفتح عليك، وكذا وكذا، هذا الكلام الذي صدر يدل علىٰ أن هذا الرجل متزنٌ، ذو أناة، رشيد، سديد، عاقل، فأنت في التفسير تنظر إلىٰ هذه الأقوال وما صدر عنها من الصفات والأخلاق، وتجد الشيخ رحمه الله في تفسيره، وأنا أوصيكم بقراءة تفسيره وتأمله والنظر فيه، تفسير سهل سلسٌ جميل عميق في دقة استنباطه، حلو العبارة، يُمرنك ويدرِّبك علىٰ النظر والتأمل والتدبر في كتاب الله، تجد أنه يمدُّ النفَس في بعض المسائل، قد تقول أنت: ما علاقتها في الآية؟ لكن لديه هذه القواعد التي نثرها في التفسير واستفاد منها كثيرًا؛ ولهذا جاء كتابه متميزًا، المؤلف في قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥]، كونه يُعرض عن اللغو، واللغو: الكلام الضَّارُّ الساقط أو ما لا فائدة فيه من القيل والقال، والكلام الذي لا فائدة من ورائه، كونهم يعرضون يدل علىٰ ماذا؟ أحد الإخوان طالبُ علم مرَّ علىٰ ناس جالسين، وهذا ينظر في جواله، وهذا يرسل رسالة وغير ذلك، مضىٰ وتركهم، يدل علىٰ ماذا؟ يدل علىٰ معرفته قيمة وقته، وأن وقته لا يضيع بهذه الأمور الصغيرة لا سيما طالب العلم.

يدل أيضًا علىٰ وفرة عقله، أن هذه الأوقات المحسوبة عليك بالثواني لا بد أن تودعها شيئًا، وعلمًا نافعًا، وعملًا صالحًا، شيئًا تجده أمامك يوم أن تحتاج إلىٰ مثقال الذرة من الخير، وتفرَّ من مثقال الذرة من الشر.

المشركون في الجاهلية عندما كانوا يقتلون أولادهم خوف الفقر، ويَئِدون بناتِهم خشية العار، هذا الصنيع يدل علىٰ ماذا؟ يدل علىٰ: الجزع، وضعف اليقين، وضعف الثقة، وعدم وجود الأمل في ربهم سبحانه وبحمده، الظلم، وقل ما شئت من الأخلاق الرديئة السيئة.

(القاعدة السابعة والستون: يرشد القرآن إلىٰ الرجوع إلىٰ الأمر المعلوم المحقق عند ورود الشبهات والتوَهُّمات).

هذه قاعدة جليلة جميلة يا إخوان، الإنسان في حياته أحيانًا يكون بين أمرين: أحدهما موهوم، والآخر معلوم، موهوم والآخر متيقن، أو مجهول والآخر معلوم وهكذا، فماذا يعمل الموفَّق الرشيد العاقل السديد؟ هل يأخذ بالأوهام ويترك الأمور المُتَيَقَّنة؟ أو يأخذ بالمجهول ويترك الشيء المعلوم، كنتَ تسير في طريق فلقيتَ رجلًا قلت: يا أخي! أخبرني عن الطريق، قال: يا أخي هذا الطريق لا أعرفه، ولكن أنا أتيت من هذا الطريق وجدته طريقًا آمنًا ليس فيه وحوش ولا فيه أفاعي ولا فيه شيء، أما هذا لا أخبرك عنه؛ لأني لا أعرفه، فالعاقل لن يذهب يا إخوان، معلوم أو مجهول؟ معلوم، كل هذا بالنسبة لمن ينتسب إلىٰ علم، فأهل الحق والبصيرة يوفَّقون ويرجعون إلىٰ الأمور اليقينية والمعلومة في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله، وأهل الزيغ والضلال والبدع والإلحاد يبحثون عن المشتبهات، يجدون فيها متلمسًا لهم،

وشبهة يتذرَّعون فيها، فيتركون المعلوم إلىٰ المجهول، ويتركون المتيقَّن إلىٰ الموهوم، واقرأوا قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

فالراسخون في العلم ينظرون إلىٰ المتشابه ويقولون: آمنا به كل من عند ربنا، إن عقِلناه فذاك، وإن لم نعقله فيكفي أنه من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأما الزائغ فيتشبَّث به ويتمسك به، ويراه مركبًا له، ولا قوة إلا بالله، وحجة أو شبهة له في زيْغه وفي ضلاله، وذكرت لكم في الماضي مثالاً لنصارىٰ نجران لما جاؤوا للنبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأخذوا يستدلون علىٰ التثليث بالآيات التي يضيف الرب سبحانه وتعالىٰ إلىٰ نفسه الضمير بصيغة الجمع، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، هذا جمع، ثم يُعمون بصائرهم عن ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، والآيات في هذا كثيرة يا إخوان، وأما الراسخون فيقولون: ردُّوا هذا إلىٰ هذا، نرد الموهوم إلىٰ غيره، وهو ما هو موهوم ولله الحمد، ولكن تنزلًا مع الخصوم، إذًا المعلوم فيتضح ويتبين، فديننا وعقيدتنا أن ربنا واحد أحد سبحانه وبحمده، وأما هذه الآيات فإن الله أضافها إلىٰ نفسه بصيغة الجمع إشارة إلىٰ التعظيم ولا يزال العرب في أساليبهم يستخدمون مثل هذا، وهو معلوم معروف لديهم.

الآن جميع أهل البدع يتمسكون ببعض النصوص التي يرونها شبهات لهم؛ ولهذا يقول العلماء في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ

مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ينبغي للإنسان أن يستدل ويبحث عن الدليل قبل أن يقول؛ لأنه إذا قال واعتقد وراح يبحث عن الدليل، يبحث عن ماذا؟ عن الدليل الذي يوافق زيغه وضلاله ولا قوة إلا بالله، فلما زاغت قلوبهم راحوا يتلمسون في القرآن، ويبحثون عن أشياء لعلها أن تكون مستندًا لهم فيما ذهبوا إليه من الزيغ، من الأمثلة أيضًا قوله -عَزَّ وَجَلَّ- في شأن الصِّدِّيقة بنت الصديق أمِّنا أم المؤمنين رضي الله عنها في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، بمجرد أن انتشر الكلام يحسُن بكل مسلم أن يسأل نفسه: أيليقُ هذا بفراش رسول الله وبأم المؤمنين؟! ولهذا أبو الدرداء رضي الله عنه قال لأم الدرداء: أكنت تفعلين هذا يا أم الدرداء؟! قالت: لا والله، قال: عائشة أفضل منك وخير منك، انتهىٰ الأمر، حسَموا الأمر ولله الحمد، وذهبت كل هذه الرَّيب والشكوك التي قذف بها الشيطان وأجلب عليها المنافقون بخيلِهم ورَجْلِهم، واغترَّ بهم بعض المسلمين.

وتأملوا قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ [النور: ١٢]، جعل عائشة بمثابةِ أنفُسِ المؤمنين جميعًا، وهذا لونه في القرآن بديع أن القرآن ينزِّل الغير منزلة النفس، لماذا؟ هذا أخوك فاجعله بمثابة نفسك، فإذا كنتم لا ترضون أن تُقتلوا فلا تقتلوا أنفسكم، ما معنىٰ أنفسكم؟ أي: غيركم، وإذا كنتم لا ترغبون أن تَلمزوا فلا تلمزوا أنفسكم، ما معنىٰ تلمزوا أنفسكم؟ تعيبوا غيركم، هل يعيب أحد نفسه؟ لا، معنىٰ لا تلمزوا أنفسكم أي: لا تعيبوا غيركم، فلماذا أنزل الله -عَزَّ وَجَلَّ- الغيرَ منزلة النفس، لماذا؟ إشارة إلىٰ أنك تعامل إخوانك معاملة نفسك، ولهذا قال:

﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، ما معنىٰ: علىٰ أنفسكم؟ يعني هل يدخل أحد يقول: السلام علىٰ نفسي، ما معنىٰ أنفسكم؟ يعني يسلم بعضكم علىٰ بعض، فلماذا إذًا ربنا ذكر هنا النفس، ما قال: فسلموا علىٰ بعضكم، لماذا يا إخوان؟ من يجيب؟ هذا الكلام رددناه، حتىٰ تُنزِل أخاك المسلم منزلة نفسك، فلا تعيبه كما لا تُعاب، وتسلم عليه كما تحب أن يسلم عليك، وهلم جرًّا.

منها أيضًا قوله تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، لما قال بنو إسرائيل في موسىٰ ما قالوا، قالوا: إنه آجَر، وإنه عظيم الخِصْية، وإنه وإنه؛ لأنه كان حييًّا، وكان لا يغتسل عاريًا أبدًا، فراحوا يتهمونه ويقولون فيه ما يقولون، ولو استحضروا في نفوسهم وجاهته عند الله ما قالوا فيه أي شيء، أبدًا، المقصود أن الإنسان لا يترك الشيء..

(لا يترك الأمر المحقق)، لا يترك الموهوم إلىٰ المحقق، هذه قاعدة جميلة يا إخوان، لما جاء عبد الله بن أم مكتوم إلىٰ النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يطلب منه أن يعلمه، وكان -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مشغول ويدعو رؤوسَ قريش، ويطمع في إيمان الكبار، وإذا آمن الكبار تَبعهم الصِّغار، فأعرض عنه النبي -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأنزل الله في عتاب محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ١-٧]، هنا معلوم وموهوم، عبد الله بن

مكتوم جاء يريد الإسلام يريد الخير، والموهوم ما هو؟ إسلام رؤوس قريش، فعاتب الله نبيه -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما التفتَ إليهم وإسلامهم موهوم، وتأملوا جمال كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولُطف ربِّنا بمعاتبةِ نبينا قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ١-٣]، ما يدريك للخطاب ولاَّ الغائب؟ الخطاب، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾، غائب ولا مخاطب؟ غائب، في المعاتبة جاء بضمير الغيبة، بضمير الغيبة، قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾، وهذا في منتهىٰ التلطُّف في معاتبة محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ما قال: عبست وتوليت وهكذا، لا، إنما قال: عبس وتولىٰ، ثم قال في معرِض القصة، وما يدريك لعله يزكىٰ، جاء بضمير واحد.

(القاعدة الثامنة والستون: ذكر الأوصاف المتقابلات يُغني عن التصريح بالمفاضلة إذا كان الفرق معلومًا).

هذه قاعدة جميلة لطيفة، ذكر الصفات المتقابلة يغني عن التصريح بالمفاضلة، ويتضح هذا الكلام بالمثال، وهذا يحصل حتىٰ في الأمور الكبيرة، يقول يوسف: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ما الجواب؟ الجواب: الله خير، حتىٰ غير المسلم يقرُّ بهذا، فلِمَ لمْ يذكر يوسف الجواب؟ لماذا؟ لأنه متفق عليه، لا حاجة أن يذكر الجواب، وهذا يكثر في القرآن، ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، أين الجواب؟ ما في جواب؛ لأنه معلوم ومتَّفق عليه، وهذا لون جميل جدًّا في المحاجَّة، نحتاج إلىٰ القرآن في مُحاجَّة أهل البدع والضَّلال والزيغ والانحراف، وأساليب القرآن

عظيمة يا إخوان، وفيها من الوسائل ما يُسكت الخصم من أول لحظة، أأنتم أعلم أم الله؟ الجواب في العالم كله ما هو؟ الله أعلم.

يأتي أشخاص، وفي مواقع التواصل يتكلمون عن قضايا كبار في الإسلام، المسألة أمور خفية، يحدثنا أحد مشايخنا، يقول: سافرت إلىٰ بعض البلاد، وكان في هذه البلد جماعة من بلده، كان رجلًا عاميًّا في العلم الشرعي، وإن كان متخصصًا في بعض الأمور، هذا الكلام من قرابة أربعين أو خمسين سنة، وكانت شبهة الكفار عمومًا تعدُّد النكاح، وتعدد الزوجات، هذا ما يُثار حول الإسلام، ولكن هذه الشبهة احترقت؛ لأن من يثيروها اكتشفوا أنهم واقعون في التعدد الفاجر، فمنعوا التعدد المشروع، ووقعوا في التعدد الفاجر، الخليلات والصديقات، منهج من مناهج حياتهم والله المستعان، ويعيبون علىٰ الإسلام التعدد، يقول: قال لي: التعدد في الإسلام، وهو مسلم ومن بلده، يقول الرجل: أنا لا عندي علم شرعي ولا غيره، فقلت له: هل أنت أعلم أم الله؟ ماذا يقول؟ حتىٰ لو كان غير مسلم لن يقول: أنا أعلم من الله، لو قال هو أعلم من الله، انتهىٰ الأمر لم تعد المسألة "تعدد"، فسكت الرجل من أول الطريق.

هذه الطريقة وهي ذكر الصفات المتقابلة دون الجواب ودون ذكر التفضيل، ليس المقصود الاختصار فقط، وإنما المقصود: إيقاف الخَصم عند أوَّل وهْلة، عدم التمادي معه في الجدال العقيم، والشيء الثاني يتبين ضعف حجته من أول لحظة، ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [هود: ٢٤]، الجواب، ما ذكر جواب، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ

﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ذكر جواب، ما ذكر، ونظائر هذا يا إخوان في القرآن كثيرة.

(القاعدة التاسعة والستون: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه).

"من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه"، ترك شيئًا لله، الله تعالىٰ يخلفه ويعطيه خيرًا، ذكر المؤلف لها عدة أمثلة، ذكر إبراهيم عليه السلام عندما هَجر قومه وهاجر، أخلفه الله ما هو خير له من قومه، فقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ثم قال بعدها: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، لما هجر وهاجر قومه وتركهم وما هم فيه من الكفر، وتركهم لله، أخلفه الله خيرًا: وهَبَ له إسحاق. وإسحاق ويعقوب جُعل جميع الأنبياء من ذريتهم إلىٰ محمد -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والمهاجرون الأولون رضي الله عنهم وأرضاهم لما هاجروا الأهل والديار أخلفهم الله سبحانه وتعالىٰ خيرًا كما في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١]، فبوأهم الله دار مهاجرهم وهي المدينة، وأخلف عليهم من الخيرات والبركات أضعاف أضعاف ما تركوه في مكة.

وسليمان عليه السلام لما أشغلته الخيل عن الصلاة، وماذا فعل بها؟ ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣١-٣٢]، أي: توارت الشمس، ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، قتلها. بعض المفسرين يقول: يمسح عراقيبها، وأعرافها،

هذا من ظاهر السياق، فماذا أخلفه الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٦-٣٧]، وأصحاب الكهف لما هجروا قومهم واعتزلوهم وما يعبدون من دون الله آواهم الله، ورفق بهم، وأعْلىٰ ذكرَهم ومكانتهم وقدْرهم إلىٰ يوم القيامة، وهكذا، فكل من ترك شيئًا لله عوضه الله سبحانه خيرًا.

(القاعدة السبعون: القرآن كفيل بمقاومة جميع المفسدين، ولا يعصم من جميع الشرور إلا التمسك بأصوله وفروعه).

القرآن كفيل بأن يحفظ الله تعالىٰ به العبد من كل مكروب، فهو كتابه الذي وصفه ربُّنا بأنه مبارك، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩] في أربع آياتٍ، وجاءت هذه البركة مطلقة غير مقيدة بشيء، لتشمل كل بركة في الدين والدنيا؛ فبه تُشفىٰ القلوب، وبه توعظ النفوس، وبه يهتدي العباد إلىٰ الطريق المستقيم، وبه يثبِّت الله عباده علىٰ الطريق القويم، فهو الشفاء والنور، وهو الفرح والسرور، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فيدفع الله به المؤذيات عن العبد، ويحميه بها من الشبهات، ومن الشهوات، وهو أعظم سلاح في يد المسلم يقيه به الله سبحانه وتعالىٰ الشر وأهله، وقلت لكم: لا بد أن نرجع إلىٰ كتاب الله وننظر في معانيه؛ فما لم يعرف الإنسان كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- سيحفظ الألفاظ، وفي الحفظ بركة لكنها بركة ناقصة وناقصة، وابن القيم رحمه الله يقول: الألفاظ وسائل والمعاني غايات، فاقرءوا القرآن ألفاظه ومعانيه وتدبروه، فستحتاجونه في عقائدكم، في أخلاقكم، في معاملاتكم، في بيوتكم، في حفظكم وحفظ أهلكم وبلادكم،

وستحتاجونه أيضًا في الذَّبِّ عن حِياض دينكم، ومُقارَعةِ أهل الزَّيغ والضلال والفساد والإفساد.

وتحدث الشيخ عن نوعين من المفسدين، منهم المبطلون الذين يسعون إلىٰ إشاعة الباطل والفساد والإفساد، وفي القرآن من الحُجج والأدلة ما يبطل كيدهم، ويردهم علىٰ أعقابهم، ومثَّل الشيخ أيضًا بمثال للشيوعيين، وإن كانت الشيوعية في زمانه في وقت زَبدها، فإن الباطل يكون له زبَد، تعرفون الزَّبد، ما هو الزبد؟ زبد البحر أو زبد الوادي عندما يسيل، وبعد أيام يقف الوادي أين يذهب الزبد؟ ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد: ١٧]، ما أجمل هذين المثالين! أن يمثَّل الحق بالماء العذب الزلال، والباطل بالزبد الذي يكون فوق السيل، ويمثَل الحق أيضًا بالذهب النقي الإبريز الخالص، عندما يريدون تنقية الذهب يعرضونه علىٰ النار، حتىٰ يتخلص الذهب من الأخلاط التي تكون معه من المعادن، ويخلصون للذهب الجيد، وهذا معنىٰ قوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ [الرعد: ١٧]، هو الذهب، أو متاع، إذا كان هناك معادن أخرىٰ أيضًا، فشبه الله تعالىٰ الحق بالذهب وبالمعدن النفيس، وشبه الباطل بزبد المعادن أو زَبد الماء.

الشيوعية في حياة الشيخ كانت في أوْجِ زَبدها، ثم استمرت قُرابة السبعين سنة، ثم تداعت وانهارت وسقطت وفشلت في جميع الأمور: النواحي الاقتصادية والعَقَدية والأخلاقية؛ لأنها ركبت مركبًا في غاية الزَّيغ والضلال والانحراف عياذًا

بالله، وفي الإسلام يا إخواني من العدل ومن المساواة ومن الأخلاق الرفيعة والعقائد الرائعة العظيمة ما هو كفيلٌ بدحْر كل المبطلين أيًّا كانوا، سواء كانوا الشيوعيين أو غيرهم من أصحاب الضلال والزيغ والبدع والإلحاد، قال -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ففيه بيان كل شيء، يقول مسروق بن الأجدع رحمه الله صاحب ابن مسعود يقول: كل ما سألنا عنه الصحابة موجود في القرآن، لكنَّ فهومَنا قَصُرت عنه، فنحن بحاجة إلىٰ الرجوع للقرآن والنظر في معانيه، إذا كان لك من كتاب الله وِرْد، وكان لك منه حفظ فارجع إلىٰ التفسير واجعل لك وِردًا من التفسير وانظر وتأمل واقرأ وتدبر، حتىٰ تجد لذة هذا القرآن في قلبك؛ فإن الله تعالىٰ وصف الوحي بأنه رُوح، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

إذا كان محمد قبل القرآن لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان يعني ما يدري عن تفاصيل الإيمان، وإلا كان مؤمنًا عليه الصلاة والسلام بلا شك، لكن تفاصيل الشرائع ما كان يعلم عنها شيئًا، فنحن أيضًا دون القرآن في غاية البعد والجهل، والله المستعان، وسماه الله روحًا لماذا؟ إذا كانت الأبدان تعيش بالروح، فالقلوب تعيش بالقرآن، تحيا بالقرآن، ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٦٩/ ٧٠]، هذه هي الحياة الحقيقية، حياة القلوب، وأما حياة الأبدان فإن مِتَّ فالإنسان لا بد ميتٌ وإن طالت الأيام واتصل العمر.

(القاعدة الحادية والسبعون: في اشتمال كثير من ألفاظ القرآن علىٰ جوامع المعاني).

هذه الأخيرة، أشار الشيخ إلىٰ أن آي القرآن، بل الألفاظ مشتملة علىٰ كثير من المعاني ولا ريب، فالقرآن كله جوامع كلم، أي شيء يداني كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- بيانًا وفصاحة وعلمًا وحكمًا وأحكامًا وأسرارًا، حتىٰ إن بعض آيات القرآن الكريم أصبحت ترد علىٰ ألسنة الناس هكذا، كالأمثال الدارجة، يستدل بها العامي أحيانًا وهو لا يشعر بها؛ لأنها من الجوامع، فيقول مثلًا: تعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ، هذه لا يكاد تجد مسلم إلا ويحفظها، وهي آية جامعة، البر والتقوىٰ تشمل الدين كله، ومر بنا أن البر والتقوىٰ من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت، فإذا وُجد البرُّ وحده فهو الدين كله، والتقوىٰ نفس الشيء، وإذا اجتمعا فالتقوىٰ اتِّقاء المنْهيات، والبر فعل المأمورات.

نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العُلَىٰ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح والدعوة إليه، اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وارزقنا علمًا وزدنا علمًا ينفعنا وتنفع به يا أرحم الراحمين.

هذه جملة من الآيات اطِّلعوا عليها كأمثلة، الشيخ ما قصد حصر القرآن كله الجوامع، لكن فيها من جوامع المعاني لو طُبقت عليها القواعد، أعطنا بعض الآيات.

قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، هذه الآية جامعة، أين الجامع فيها؟ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت: ٤٦]، مَن: اسم شرط يدل علىٰ العموم، كل من عمل صالحًا، وصالحًا نكرة في سياق الشرط تدل

علىٰ العموم أيضًا، الآية فيها إشارة إلىٰ قاعدتين من قواعد التفسير، فكل من عمل عملًا صالحًا فعمله لنفسه لا شك.

وقوله تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الذين: اسم موصول، والاسم الموصول يدل علىٰ العموم، كل من أحسن فله الحسنىٰ، جزاءً من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والحسنىٰ: جنة، وزيادة وهي النظر إلىٰ وجه الرب الكريم سبحانه وبحمده.

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، أي إحسان؟ الإحسان، أل "استغراقية"، إلا الإحسان من الرب الكريم سبحانه وبحمده؛ ليشمل الإحسان الذي لا حد له ولا وصف.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، يعني: السابقون إلىٰ الأعمال الصالحة في الدنيا هم السابقون إلىٰ الدرجات يوم القيامة، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، تجد هذه الكلمة علىٰ ألسنة الناس، لو رأىٰ إنسان يفعل خيرًا يقول: ما شاء الله، والسابقون السابقون، لكن نفهم يا إخوان، والسابقون ليست تكرار، لا، السابقون إلىٰ الأعمال الصالحة في الدنيا هم السابقون إلىٰ أعلىٰ الدرجات يوم القيامة، وهي تشمل كل من سبق، هي عامة.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، هذه الآية عظيمة، من الآيات الجوامع في كتاب الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠] أولًا، وهو إعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، اثنان ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، والإحسان زائد عن العدل، ومرَّ بنا أن العدل واجب والإحسان مستَحبٌّ، أو والفضل مسنون، الله تعالىٰ يأمر بالعدل، ويأمر بما هو أشمل وأعم وهو الإحسان، يقال: الإحسان؛ ليشمل جميع أنواع الإحسان،

وإيتاء ذي القربىٰ، أليس إيتاء ذي القربىٰ من الإحسان؟ ولكنه من باب ذكرِ الخاصِّ بعد العام؛ ليدل علىٰ الاهتمام بالخاصِّ، يعني لما تقول: نجح الطلاب وزيد، لماذا ذكرت زيد وحده؟ من باب الاهتمام به والعناية به، ذِكر الخاص بعد العام أو العام بعد الخاص يدل علىٰ مزيد اعتناء بالخاص، وهكذا -يا إخوان- تأملوا هذه الآيات فهي آيات جوامع فيها كثير من الأحكام، وإلىٰ هنا ينتهي ما ذكر الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه، وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأعظمه.

وإن انتهينا من هذه الدورة فلا تنتهوا من العلم يا إخوان، لا تنتهوا من العلم، العلم له بداية وله نهاية، فبدايته أن وضعت قدمك في الطريق، والنهاية ما هي؟ إلىٰ الجنة، نسأل الله الكريم من فضله، «من سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة»، وإخواننا الوافدون الذين جاؤوا وتغرَّبوا وصبروا ليطلبوا العلم، ويحرصوا علىٰ ألا يرجعوا إلىٰ أهلهم وبلادهم إلا وقد حصَّلوا من العلم ما ينفعهم، وما ينفعون به الآخرين، فالناس والله بأمسِّ الحاجة إليكم يا إخوان، وأنتم تعرفون هذا وتلحظونه فأضمروا في قلوبكم النية الخالصة والصدق في طلب العلم، وأضمروا في نفوسكم تعليمه مستقبلًا فلن تكون طالبَ علمٍ إلا بأمرين، ما هما؟ ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وغدًا لا بد أن تعلموا يا إخوان، وتأملوا معي الآية الكبيرة العظيمة يا إخوان، قال: ﴿تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، أيهما المقدَّم في العمل؟ الدراسة أم التعليم؟ التعليم، لماذا قدم التعليم في الآية؟ لأهميته يا إخوان.

ولأن الإنسان ما يزال دارسًا حتىٰ ولو علم، ما يقوم واحد يقول: أنا ما عندي شيء ولا حصَّلت شيئًا، «بلِّغوا عني ولو آية»، وخاصة في العقيدة يا إخوان، الناس يحتاجون كثيرًا إلىٰ هذا الأمر، والعقيدة بها صفاء القلب، وبها صحة العمل، تجدُ صاحب العقيدة مطمئنًّا ولله الحمد، ما عنده شكوك ولا أوهام، وتجد هذا المسكين الهائم التائه الذي يلتفت مرة إلىٰ قبرٍ، ومرة إلىٰ وليٍّ أو إلىٰ سيِّد، ضائع في أوهامه وشكوكه، لا يدري أين هو ولا أين يتجه؟ لكن من علَّق قلبه بربه وجد الراحة والطمأنينة والسكينة، فاحرصوا بارك الله فيكم علىٰ أن تتعلموا وتُعلموا، قال -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا حديث احفظوه أوصيكم بحفظه يا إخوان بارك الله فيكم، وهو حديث مخرَّج في الصحيح قال: «مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به مِنَ الهُدَىٰ والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها طائفةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ»، اللهم اجعلنا جميعًا منهم، اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين.

«وكانَ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ، فَسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ طائِفَةً مِنْها، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً»، اللهم أعذنا منها، اللهم أعذنا منها، «فهذا مَثَلُ مَن نَفَعَهُ اللَّهِ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ»،

هذا المثَل الأول يا إخوان، وكذا الثاني أيضًا فيمن يحفظ ويعلم، منْ نفَعه الله ما بَعثني الله فعلِم وعلَّم، «ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللَّهِ تعالىٰ»، ما رَفعه الله؛ لأنه لم يُخلص النية في طلبه، وفي العِلم رفعةٌ، في العلم رفعة، يقول ربنا -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، لما قدِم سليمان بن عبد الملك خليفةً كانت دولته تمتد من حدود الصين إلىٰ حدود

فرنسا، قدِم إلىٰ مكة وجاء الناس وسلَّموا عليه، قال: من بقي؟ قالوا: بقي عطاء بن أبي رباح، وكان عطاء مولًىٰ مملوكًا، أعمىٰ، قصيرًا، قال: أين هو؟ قالوا: هناك يصلي، فذهب إليه ووقف عنده وهو يصلي، ولده يقول: أمير المؤمنين يريد أن يُسلم عليك، وهو لا يريد أن يهين أمير المؤمنين حاشاه، ليس هذا منهج السلف، فلما قضىٰ وِرده في يومه سلَّم عليه، ثم رجع إلىٰ بلاد الشام عاصمته، ووصَّىٰ أولاده وقال: يا بُني عليكم بالعلم فإني لا أنسىٰ ذُلي بين يدي العبد الأسود.

وكان عبدًا مملوكًا، ولكن أعتقه الله ورفع قدره ورأسه بالعلم، كان أعمىٰ مقطوع اليد قصيرًا، ذكروا فيه أشياء، ومع هذا يقول الخليفة رحمه الله ما يقول، وهذا لِشَرف العلم وعلوِّ قدره، احرصوا يا إخوان علىٰ العلم والتعلم والاستفادة والإفادة، فهذا ميراث الأنبياء بين أيديكم يا إخوان، والعلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورَّثوا العلم، فلا تكن الدنيا الهمَّ، ليست هذه هم الأنبياء ولا ورثوها، وإنما ورَّثوا العلم، فخذوا ميراثهم واستفيدوا منه وتعلَّموا، أسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وجنِّبوا أنفسكم وجنِّبوا إخوانكم الفتن والدخول فيها، والسير مع مروِّجيها، يعصمكم الله سبحانه وتعالىٰ، ويحفظكم، ويحفظ عليكم علمكم ودينكم، وفقكم الله يا إخوان.

حولت المادة الصوتية إلىٰ نصية كما ألقيت ولم تتم مراجعتها من قبل الشيخ